Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 37:4 (2002)

قواعد التعبير عن أوجه الزمن الماضي في اللغة العربية

ـ محاولة توصيف منهجيّ مقدم لمتعلمي العربيّة من الناطقين بغيرها ـ

عمر يوسف عكاشة

ملخص:

يحاول البحث الحالي أن يتعرّض بالمناقشة والتحليل والتفسير لمشكلة تدور كثيراً في كتابات الطلاب الناطقين بغير العربية بشكل عام، المالَويُّون منهم بشكل خاص. إذ يلاحظ أنهم كثيراً ما يلجؤون إلى المراوحة بين الزمنين الماضي والحاضر، عندما يقومون ـ في كتاباتهم ـ باستخدام أسلوب القصّ على سبيل التحديد. بل إنهم، في كثير من الأحيان، يوظّفون الفعل الحاضر للدلالة على الماضي.

وقد قمت في البحث بعرض بعض النماذج اللغوية لكتابات هؤلاء الطلاب، التي تمثّل المشكلة خير تمثيل. مراعياً في ذلك أن تمتدّ تلك النماذج فتشمل المستويات اللغوية المختلفة: المستوى المبتدئ (أو الأول)، والمستوى المتوسط (أو الثاني)، والمستوى المتقدم (أو الثالث). وقمت بعدها بمحاولة لتقصّي أسباب المشكلة المدروسة، محلّلاً بعض أخطاء الطلاب التي أنتجوها كتابيا.

وذهبت إلى أن جهل الطلاب بالأوجه المختلفة للزمن الماضي هو المسؤول مسؤوليةً مباشرةً عن ظهور تلك المشكلة في كتابات الطلاب. بدليل أن الطلاب ـ في معظم الأحيان ـ لا يوظّفون فيما يكتبون غير وجهٍ واحدٍ من أوجه الماضي، ذلك هو الماضي المطلق. ومن هنا جاءت التوصية بضرورة إلمام الطلاب بالأوجه المختلفة للزمن الماضي في اللغة العربية.

ولقد بيّنت في البحث أن أوجه الفعل الماضي هي هيئاته المختلفة من حيث القرب والبعد عن الحاضر، أو الاستمرار والانقطاع، أو الاتصال بالحاضر، أو البدء في الماضي.

وينبغي التنبيه إلى أنني قد اقتصرت ـ في محاولتي استعراض أوجه الزمن الماضي في اللغة العربية ـ على الجملة الخبرية المثبتة غير المؤكدة. وقمت بذلك الاستعراض من خلال نصٍّ راعيت أن

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

تكون أوجه الماضي موظفةً فيه ما أمكن، لكي يتسنّى لنا فهمها بدقة، وتقديمها ـ من بعد للطلاب بطريقة عملية وظيفية. وأتبعت ذلك بتدريبات مقترحة يمكن تقديمها للطلاب لتعزيز فهمهم للقواعد المدروسة وتسهيل توظيفهم إياها.

وعلى الرغم من أنّ أوجه الزمن الماضي مسؤولة عن قدر كبير من المشكلات التركيبية التي ينتجها كتابيًا الطلاب الناطقون بغير العربية، إلا أنها لم تستحوذ على اهتمام ما اطلعت عليه من كتب تعني بتعليم العربية للناطقين بغيرها، ومن هنا كانت المحاولة هذه.

تأسيس:

تعترض الطلاب المالويِّين الدارسين للغة العربية جملة من المشكلات اللغوية(١). ولعل من أبرز تلك المشكلاتِ المشكلاتُ التركيبية التالية:

أ- مشكلة استخدام دالة التعريف (الـ).

ب- مشكلة التركيب الإضافي: (مضاف + مضاف إليه).

ج- مشكلة التركيب الوصفي: (موصوف + صفة).

د- مشكلة توظيف بعض حروف الجرّ.

ويبدو أن ثمة سببين يقفان بعناد خلف تلك المشكلات: الأول أن الطالب المالوي ـ كغيره من الطلاب الدارسين للغة الثانية ـ يقبل على دراسة العربية وهو يمتلك منظومةً لغويةً كاملة، تتمثل في لغته الأولى أو لغته الأم. وقد بات مُؤكداً أن الطالب ـ أي طالب ـ لا يمكن أن يقدم على دراسة اللغة الثانية باستبعاد لغته الأم في أي حال من الأحوال، إذ أن الطالب يقوم في لاوعيه باللجوء، دائماً، إلى اللغة الأولى ليحاكم كل مدخلٍ من مدخلات اللغة الثانية، وبطريقةٍ أخرى فإن الطالب يقوم بعملية تمرير مدخلات اللغة الثانية وتصفيتها في قنوات اللغة الأولى، فتخرج تلك المدخلات متوافقةً في أحيان كثيرة مع اللغة الأولى. وهنا يكْمُن منشأ الخطأ اللغوي غالباً.

وأما السبب الثاني فيتعلق بالكيفية التي تُقدَّم بها المادة اللغوية للطالب الناطق بغير العربية. فالملاحظ أنّ كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها تُقدِّم المادة اللغوية التي تظهر في إطارها تلك المشكلات المذكورة سابقاً، بالطريقة نفسها التي تُقدِّمها بها كتب تعليم العربية للناطقين بها. وهو خطأ منهجي عزَّ أن نجد له نظيراً.

لأجل ما سبق نقول: إنّ المشكلات الأربع المذكورة مشكلات مركبّة، تستحق منا جملة بحوثٍ ودراسات تعالج فيها تلك المشكلات لدى تلك الفئة من الطلاب، بحيث تعتمد اعتمادا كبيرا على أساسين: الأول علم اللغة التقابلي، والآخر استحداث وسائل وصفية عملية جديدة تقدم من

خلالها تلك المشكلات. دون التفريط بأي من الأساسين.

ومن المشكلات التركيبية الأخرى التي تشيع في كتابات الطلاب المالويّين، وغيرهم، مشكلة توظيف الأوجه المختلفة للزمن الماضي في العربية، أو مشكلة التقاطع الزمني بين الماضي والحاضر، وهي المشكلة التي يدور حولها البحث الحالي، محاولاً رصدها وعرضها، وتحليل مادتها وتقصّي أسبابها، والتوصل إلى حلولٍ عمليّةٍ لها.

مشكلة البحث والمادة اللغوية التي تشكل أساس فكرته:

يلاحظ مدرس العربية للناطقين بغيرها أن ثمة تداخلاً ملحوظاً بين الزمنيْن الماضي والحاضر، يشكّل ظاهرةً شائعةً في كتابات الطلاب المالويين الدارسين للغة العربية.

والمدرّس المدقق في تلك الكتابات، يدرك أنّ ذلك التداخل لايمكن الوقوف على أسبابه وتبيُّن مبرراته بسهولة. فمثلاً، إذا أراد أحد هؤلاء المتعلمين كتابة قصةٍ وقعت جميع أحداثها في الماضي، فإنه يعمد ـ عموماً ـ إلى المراوحة في صيغ الأفعال العربية المستخدمة، بين الماضي والحاضر. ويقوم، بشكلٍ خاصّ، بتوظيف صيغ الفعل الحاضر مثل: (يَلْعَبُ، يلعبانِ، يلعبونَ، تَلْعَبُ، تلعبانِ، يَلْعَبْنَ، ...) للدلالة على أحداثٍ وقعت في الماضي.

وفيما يلي عرض لبعض النماذج العملية المستقاة من واقع كتابات الطلاب المالويين الدارسين في المستويات اللغوية المختلفة، وهي طائفة من النماذج التي جعلتنا نضع أيدينا على المشكلة المدروسة(٢):

أ- جلست البنت على الكرسي، وقطّعت الخضروات بالسكين، وهي تساعد أمها في المطبخ. وبعد أن انتهت من عملها اقتربت من أمها وتعطيها الخضروات. وأخذت أمها منها وتطبخ الخضروات. وبعد ذلك تساعد البنت في ترتيب الأطباق على الطاولة. ثم تحمل الطعام وتضعه على المائدة، وتنادي أباها وإخوانها، وهم يأكلون معا في تلك الليلة(٣).

ب- ساعدت فاطمة أمها في المطبخ بتقطيع البصل لإعداد الغداء. بعد أن انتهت عادت إلى أمها التي تقطع البطاطا، وتسألها عن إعداد المائدة وأدوات الأكل وغيرها. فترتب فاطمة أدوات الأكل. بعدئذ تنادي أسرتها لتأكل الطعام، فيمدح أبوها نشاطها.

ج- ساعدت البنت أمها في الطبخ في قطع الخضروات، وتضعها في الطنجرة حتى صارت جاهزة.

د- كانت الطفلة لعبت بالسكين بحيث قطعت البطاطا في المطبخ.

هـ- إن عائشة طفلة ذكية. حين انتهت أمها من المطبخ، جهزت عائشة الطعام ووضعته على المائدة، وتأكل مع أسرتها.

و- ذات مساء لعب أحمد مع أختيه اسمهما: فاطمة وزينب في ظل الشجرة المريحة. وكانوا لعبوا بالحبل ومعهم الكلب والقط. هم لعبوا بفرح وسرور. فجأة حينما يلعبون يقفز الكلب ويعضّ الحبل ويجري إلى بيته. هم يتعجبون. قد ضجوا وصرخوا بما فعل كلبهم... قبل أن يمسكوا الكلب، قد دخل إلى بيته ومعه الحبل. وأخيراً كلهم يحزنون(٤).

ز- في يوم من الأيام يلعب أحمد مع أختيه الصغيرتين بحبل طويل. عندما يلعبون يقع الحبل من يد أخته الصغرى، وسقط الحبل على الأرض. وفجأة يسرق الكلب الحبل من أحمد إلى بيته، ويجرى مع الحبل، وهم جمعيا يتبعون الكلب.

ح- كان أحمد يلعب مع شقيقته في الحديقة. هم يلعبون بالحبل. إن أحمد يمسك الحبل باليسرى وفاطمة تمسكه باليمنى. وكان معهم كلب يتحرك بسرور في الحديقة. وهو يريد أن يلعب مع الأطفال. ثم سمع أحمد مواء القطة، فبحث عنها. وهم يلعبون حتى وقت المساء ثم يرجعون إلى البيت معاً.

ط- ذات يوم، يلعب أحمد مع أختيه في الحديقة. كانوا يلعبون بالحبل، وعندهم كلب وقطة.

ي- كان زيد يحب أن يلعب أحمد مع أختيه مريم وفاطمة. كل مساء هم يلعبون تحت الشجرة الكبيرة في الحديقة.

ك- ذات يوم يلعب ثلاثة أطفال لعبة الحبل في الحديقة، وهم بنتان وولد واحد. يمسك الطفلان الحبل ومرت الطفلة على الحبل(٥).

ل- ذات مساء خرج محمد وأخته زينب إلى الحديقة. يضع محمد الطعام للكلب في الطبق، بينما تنادي زينب الكلب. بعد أن وضع محمد العظم ذهب مع أخته إلى البيت. جاء الكلب بسرعة ليأكل الطعام... (٦).

م- ذات يوم يذهب الطفل اسمه أحمد إلى الحديقة جانب بيته، ويحمل معه فينجن(٧). وفي الحديقة هو يضع فينجن على الأرض، ويضع في الداخل كثير من العظم.

ن- في الصورة الأولى يوجد ديك مع دجاجتين. وهم يبحثون عن الطعام. ثم ترجع الدجاجة إلى بيتها الصغير. أخرجت ثلاث بيضات وتجلس فوقها لمدة طويلة. وبعد أسبوع خرج صوص. وبعد يوم خرج صوصان. ثم يبدؤون أن يبحثوا الطعام مع أمهم. وهم يلعبون ويأكلون حتى غروب الشمس. وبعد شهرين أصبحت الصيصان كبيرة، وهم يستطيعون أن يبحثوا عن الطعام بنفسهم بدون مساعدة من أمهم(٨).

محاولة تقصي أسباب المشكلة:

كثيراً ما وقف المدرس إزاء هذه الظاهرة ـ غير المسوّغة مبدئيا ـ حيرانَ دهشاً. ومن الأسباب الداعية إلى حيرة المدرس ودهشته عند معالجته الظاهرةَ موضعَ الدرس، أن تعلُّم الفعل الحاضر في العربية سهل، أعني أنه يأتي على هيئةٍ مخصوصةٍ محدودة لا لبس فيها ولا تعقيد بالنسبة إلى متعلم العربية من الناطقين بغيرها. بطريقة أخرى يمكن القول: إن الفعل الحاضر في العربية يتقولب في صيغ أكثرها مطَّرد، وهي (يَفْعِلُ، يَفْعُلُ، يَفْعَلُ)، (يُفْعِلُ، يُفْعِّلُ، يُفاعِلُ، يَنْفَعِلُ، يَفْتَعِلُ، يَتَفَعَّلُ، يَتَفاعَلُ، يَسْتَفْعِلُ، يَفْعَوْعِلُ، يَفْعَلُّ)، (يُفَعْلِلُ)، (يَتَفَعْلَلُ). الأمر الذي لا يمكن المرءَ أن يتصور معه قيام تقاطع أو تداخل بين الحاضر والماضي.

ومما يجدر ذكره أن بعض المدرسين حاول معالجة ذلك التداخل واستخدام الطلاب الفعلَ الحاضرَ للدلالة على الماضي، بتذكير المتعلمين ـ باستمرار ـ بالطريقة السهلة الشائعة، التي من شأنها ـ كما هو مفترض ومتوقع ـ أن تمنع التقاطع بين الزمنين وتوقف الوقوع فيه، هي التي تقضي بأن صيغة الفعل الحاضر تبدأ بأحد المقاطع أو التتابعات الصوتية الآتية: (يَـ / يُـ) أو (تَـ / تُـ) أو (نَـ / نُـ) أو (أَ/أُ) (٩). كما في الأمثلة التالية:

(هو) يَضْرِبُ ـ يُضْرِبُ.

(أنتَ) تَضْرِبُ ـ تُضْرِبُ.

(نحن) نَضْرِبُ ـ نُضْرِبُ.

(أنا) أَضْرِبُ ـ أُضْرِبُ.

ولكن المدهش حقاً في الأمر، أن نتائج هؤلاء الطلاب بعد مرحلة التذكير المستمرّ، لم تَأتِ بثمرةٍ مرجوَّة تُذكر، على الرغم من صحة الطريقة المذكورة وسهولتها، فيما يلوح للنظر الأوليّ.

بعد ذلك لم يكن أمامنا بدٌّ من إعادة النظر في الظاهرة ودراستها من جديد، بحيث نضع أيدينا على الأسباب الحقيقية التي تقف خلف الظاهرة؛ لنتمكن ـ بعد ذلك ـ من الخروج بمعالجة جديدة لها.

وكان لزاماً علينا في هذا السياق أن نستعرض، ولو سريعاً، صيغ الأزمنة المختلفة (الماضي والحاضر والمستقبل)، ودرجة سهولتها بالنسبة لتلك الفئة من الطلاب، في محاولةٍ منا للتعرُّف على السبب الحقيقي المؤدّي إلى عملية التقاطع الزمني. ومن الطبيعي أن يكون التعرف على ذلك السبب نقطة الانطلاق نحو المعالجة المرغوبة والتصحيح المأمول.

إن التجربة العملية في تدرس هؤلاء الطلاب، وغيرهم في الحقيقة، تثبت سهولة تعلمهم

الزمنين الحاضر والمستقبل، وسهولة توظيفهم إياهما توظيفاً صحيحاً. وعندئذ، لا يمكن أن يكون الحاضر والمستقبل مصدر خلط أو لبس لهؤلاء الطلاب. ذلك أن صيغ الحاضر ـ فيما هو مذكور آنفا ـ تكون مصدَّرةً بمقاطع أو تتابعاتٍ صوتيةٍ محدودةٍ، تجعل من الخلط معها أمراً مستحيلاً.

وإذا كان أمر "الحاضر" كذلك، وإذا أصبحت صيغة راسخةً في المنظومة اللغوية الثانية للطالب، فإن "المستقبل" سيكون تبعا لذلك في غاية السهولة غالبا، لأن كل ما على الطالب فعله للتعبير عن "المستقبل" في العربية استخدام (سوف) أو السابقة (سَـ) (١٠) قبل أي فعل من أفعال الحاضر(١١).

تلك الحقيقة ـ حقيقة سهولة الزمنين الحاضر والمستقبل من حيث تعلمهما وتوظيفها ـ دعتني إلى الافتراض بأن المشكلة موضع البحث ـ مشكلة التقاطع الزمني بين الحاضر والماضي ـ لابد أن يكون الزمن الماضي المسؤول عن ظهورها في لغة الطلاب المكتوبة فضلا عن المنطوقة.

وإذا رُحنا نبحث في الزمن الماضي لأي لغة، وجدنا أن أحداثه لا تقع بكيفية واحدة، ولا تستند إلى هيئة مخصوصة في حدوثها. هذا يعني أن ثمة "كيفياتٍ" مختلفة أو "هيئات" متعددةً للأحداث التي تقع في الزمن الماضي ـ وغيره من الأزمنة في الحقيقة ـ. وهو أمر وإن خلت منه "أنحاء" بعض اللغات، إلا أنه موجود بالقوة في نواميسها وسيرورتها العملية كما هي على ألسنة الناطقين بها. وأخال أنه من النحو الكونيّ (Universal Grammar) الذي تشترك فيه اللغات الإنسانية(١٢).

واصطلح على تسمية الهيئات المختلفة للأحداث الواقعة في الزمن الواحد، بـ "أوجه" الزمن(١٣). ولعل من هذا يتضح أن "الهيئة هي غير الزمن"(١٤).

إذن يمكن القول: إن "أوجه" الماضي هي صيغ متعددة دالة على "كيفية" حصول الأحداث وطرق وقوعها في الزمن الماضي. وتحقيق هذه الكيفية تتأتى للناطق باللغة من توظيف دوالّ لغوية معينة مقرونة بصيغة من صيغ الفعل. ومن هذه الدوال: (قد) وبعض ما سمِّي بالأفعال الناسخة مثل: (كانَ، كادَ، ظلَّ، مازالَ، أَخَذَ، بَدَأَ، شَرَعَ). وتكون نتيجة هذا التوظيف إنتاج دلالاتٍ زمنيةٍ ماضيةٍ تختلف من حيثُ "القربُ والبعدُ عن الحاضر"، أو "الاستمرارُ والتجدُّدُ في الماضي"، أو "الاتصال بالحاضر" أو "الشروع في الماضي" أو "قُرْب الوقوع"...(١٥). فقد يكون الماضي ماضيا مطلقاً: (فَعَلَ)، أو ماضياً قريباً: (قد فَعَلَ)، أو ماضياً بعيداً: (كَانَ قد فَعَلَ)، أو ماضياً متصلاً أو متجدداً: (كَانَ يَفْعَلُ/ ظَلَّ يَفْعَلُ)، أو ماضياً مستمراً في الحاضر: (مازالَ يَفْعَلُ)، أو مَاضيًا شروعياً: (أَخَذَ يَفْعَلُ/ بَدَأَ يَفْعَلُ) (١٦)، أو مستقبلاً في الماضي: (كانَ سَيَفْعَلُ).

والملاحظُ في هذه السبيل أن "اللغة المالوية" ـ لغة المتعلمين الماليزيين الذين يركّز عليهم

الباحث ـ تُوظِّف الحدث المطلق (المفرَّغَ من أي زمن) للتعبير عن الأوجه المختلفة للفعل الماضي والحاضر والمستقبل. إلا أن المعول عليه في تبيُّن زمن الفعل هو القرينة المستخدمةُ قبل الحدث المطلق. إذ تستخدم المالوية (telah) أو (sudah) قبل الحدث للدلالة على الماضي. فكلمة (makan) ـ مثلا ـ تعني وحدها: الأكل، دون إفادة زمن معيّن. أما (telah makan) أو (sudah makan) فتعني: أكل(١٧). وشيءٌ قريب من هذا نجده في الصينية(١٨).

وقد تحقَّقت من صحة ما افترضته بعد أن قمت بمسحٍ شَمِلَ عيِّنةً عشوائيةً، اخترتها من كتابات الطلاب المالويين في المستويات اللغوية المختلفة. وخرجت من دراسة العيِّنة المختارة إلى حقيقةٍ مؤدّاها أن الطلاب لا يُوظِّفون ـ فيما يكتبون بالعربية ـ من أوجه الماضي غير الماضي المطلق. وأي محاولة منهم لاستخدام وجه آخر، تنتهي في أحسن الأحوال بإنشائهم جُمَلاً تحوي اضطراباً ملحوظاً(١٩). كما يبدو في الأمثلة التالية:

١- في بغداد، في الزمن الماضي يعيش شخص اسمه "أبو قاسم"(٢٠).

٢- ذات يوم صاحب الحمار يركب العربة.

٣- كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ يدعو اليهود إلى الإسلام برفق وحكمة(٢١).

٤- مازال رسولنا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو الكافرين إلى الإسلام حتى أصبحت حياته مملوءة بالمصائب.

٥- كان عبد المطلب أحبّ حفيده محمداً حباً شديداً(٢٢).

٦- بدأ مَرِض بالجدري عندما وصل عمره الرابعة.

٧- بدأ صاحب الحمار فكَّر في الأمر.

٨- مازالوا يلعبون بفرح وسرور حتى المساء.

٩- البقرة حيوان مفيد منذ زمن بعيد إلى عصرنا هذا.

١٠- ضرب الرجل الحمار بالعصا، ولكن الحمار مازال يقف.

١١- كان الطير مسروراً لأنه كان قد يشبع في أكله.

١٢- كان المهاجرون يبدؤون حياة جديدة في المدينة.

١٣- ذات يوم يذهب الطفل إلى الحديقة.

١٤- كان حليم أراد أن يذهب إلى البلد(٢٣).

١٥- اقترب الرجل وكان سليمان قد مازال يقرأ كتابه.

١٦- دفع عبد المناف عبد الكريم حتى سقط على الأرض.

١٧- كان زيد قد يقرأ كتاباً صغيراً على مقعد، وعلي قد يقوم بجانبه.

١٨- وهو نظر إليه بطرف عينه، وكان قد يتعجب.

١٩- استراح رجلان في الحديقة(٢٤).

٢٠- لقد أراد أحمد أن يشترك بالقراءة؛ لأنه كان قد يشعر بالسؤال عما في الكتاب.

٢١- بدأ تفكير الرجل عن هذه المشكلة(٢٥).

٢٢- اقترب محمد من أحمد، لكن أحمد مازال يقرأ.

٢٣- سقط أحمد على الأرض، وبدأ قرأ الكتاب بنفسه.

٢٤- عندما نظر أحمد صوراً وكلاماً مضحكاً كان "أمير" قد يجلس في طرف المقعد.

٢٥- أثناء تجوُّله قد لفت نظره رجل يجلس على المقعد.

٢٦- كان أحمد طالباً مجتهداً. هو دائماً قرأ في أي زمان ومكان(٢٦).

٢٧- عندما كان إبراهيم انتظر الحافلة، جلس على الكرسي الصغير.

وسأقوم فيما يلي بتحليل الأمثلة الثلاثة الأولى مما تقدم؛ بغية توضيح المسألة، مسألة التقاطع الزمنيِّ وتوظيف صيغة الحاضر للدلالة على الماضي، كما ترد في كتابات الطلاب المالويين أن ذلك إنما يقع بسبب جهل الطالب الأوجه المختلفة للزمن الماضي:

من الجلي في المثال الأول أن الطالب يوظف صيغة (يعيش) ـ وهي الدالة على الحاضر ـ للدلالة على الماضي. ولكن الطالب يدرك تماما ـ بسبب ما ذهبنا إليه من سهولة تعلم الزمن الحاضر ـ أن (يعيش) ليست من الماضي في شيء، وأنها صيغة تخصّ الحاضر حَسْبُ. ولذلك، ونظراً لأنه لم يعلم أياً من أوجه الماضي، فإنه ظنَّ أنَّ بمقدوره نقل (يعيش) إلى الماضي بسبقه بعبارة مثل: (في الزمن الماضي). ومن هنا جاء التركيب: (في الزمن الماضي يعيش شخص اسمه "أبو قاسم")(٢٧).

وكان الطالب هنا، في ظل غياب الماضي بأوجهه المتعددة عن منظومته اللغوية الثانية، لم يجد بداً من الاجتهاد لملء الفراغ الذي يشعر به في لاوعيه. فقام باستحداث صيغةٍ(٢٨) تعادل أحد أوجه الماضي، وهو الماضي المستمر في مثالنا. فواضح أن عبارة. (في الزمن الماضي يعيش) لها حضور في لغة الطالب المكتوبة تعادل حضور صيغة الماضي المستمر: (كان يفعل = كان يعيش). ومن هنا يمكن أن نستبدل بتركيب الطالب التراكيب الصحيحة التالية:

[كان شخص اسمه "أبو قاسم" يعيش في بغداد. أو: كان اسمه "أبو قاسم". كان يعيش في بغداد].

وثمة تشابه بين المثال الأول والمثال الثاني. فعبارة (ذات يوم) في (٢) تعادل عبارة:

(في الزمن الماضي) في (١). حيث إن ذكر عبارة (ذات يوم) تستحضر في ذهن الطالب معنى (كان)، التي تعد رمزاً من رموز الماضي اللغوية. ولذلك وجدنا الطالب يُركّب (ذات يوم) مع الفعل الحاضر (يَرْكَبُ) للتعبير عن الماضي المستمر:

[(ذات يوم) صاحب الحمار يركب العربة = (كان) صاحب الحمار يركب العربة].

وأما المثال الثالث فيعد شاهداً على محاولةٍ مضطربةٍ لاستخدام وجهٍ من أوجه الماضي غير الماضي المطلق. ونلاحظ أن الإرباك في زمن التركيب مُتأتٍّ من إدماج وجهين مختلفين من أوجه الماضي:

كان (يدعو) + أخذ (يدعو)

كان يفعل أخذ يفعل

(ماضٍ متجدد) (ماضٍ شروعي)

وقد قام الطالب بحذف العنصر المكرر في الصيغتين، وهو الفعل (يدعو) في (كان يدعو). فنتجت صيغة لا وجود لها في العربية: (كان أخذ يفعل)/ (كان أخذ يدعو).

والصحيح أن الطالب إذا أراد التعبير عن الماضي المتجدّد فعليه أن يقول: (كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو اليهود إلى الإسلام برفق وحكمةٍ). وأما إذا أراد التعبير عن الماضي الشروعي ـ كما سنوضح ـ فيجب أن يقول: (أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو اليهود إلى الإسلام برفقٍ وحكمةٍ).

الاستنتاج

يمكن من كل ما سبق أن نستصفي القول: إن عدم معرفة الطالب للأوجه المختلفة للزمن الماضي هو المسؤول الأول عن المشكلة موطن البحث. ولذلك فإنه في حاجةٍ ملحةٍ إلى معرفة قواعد التعبير عن أوجه الزمن الماضي في اللغة العربية. بيد أن ذلك وحده ليس كافياً بطبيعة الحال، بل يجب تعزيز تلك المعرفة النظرية عبر التطبيق العملي المدروس، والمتمثل في وضع تدريبات على الأوجه المختلفة للماضي.

أوجه الماضي بين متعلّمي العربية من الناطقين بغيرها ومتعلّميها من الناطقين بها:

لقد أورد السلف(٢٩) عدة إشاراتٍ ــ كما سيأتي لاحقاً ــ تتعلق بأوجه الزمن الماضي وغيره(٣٠). بيد أن الأمر لا يتجاوز ـ في المحصلة ـ الإشارات المجتزأة المتناثرة التي لا يلمُّ شتاتها بابٌ واحد. ولكن، رغم أن أوجه الزمن غائبة عن "النحو العلمي" للعربية، وهو النحو الذي نص عليه النحاة في كتبهم. إلا أنها حاضرة في "النحو العملي" لها، وهو النحو الذي تشتمل عليه نواميس اللغة

وقوانينها في سيرورتها العملية على ألسنة الناس(٣١). وهذا ما سينكشف لنا فيما يرد من مسوّدات البحث تالياً.

أريد لأبيّن أن خلوَّ النحو العلميّ من أوجه الزمن، لا يعني بأي حال خُلوَّ النحو العمليّ منها. والملحوظ أن بعض الدارسين، العرب والمستعربين، الذين اتهموا العربية بالقصور في مجال التعبير عن الزمن(٣٢)، قد انطلقوا مما هو موجود في قواعد النحاة العرب "النحو العلمي"، لا مما هو موجود فعلاً في قواعد العربية "النحو العملي"(٣٣). يقول أحد الباحثين في حق المستعربين المتهمين(٣٤): "بدت لهم اللغة العربية فقيرة من حيث ما تمتلك من وسائل للتعبير عن الزمن، في حين كانت قواعد اللغة العربية التي وضعها النحاة هي المفتقر الحقيقي إلى تلك الوسائل".

ولعل من المفيد أن نشير إلى أنه في الوقت الذي يرمي فيه أغلب المستعربين العربية بأنها فقيرة من جهة دلالة صيغها الفعلية على الزمن يذهب "برجشتراسر" إلى أنها من أغنى اللغات في الباب. فقد لاحظ أن العربية تتميّز عن سائر اللغات السامية في "تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها، وذلك بواسطتين؛ إحداهما: اقترانها بالأدوات، نحو: "قد فعل" و "قد يفعل" و "سيفعل"، وفي النفي: "لا أفعل" بخلاف: "ما فعل"، و "لن يفعل" بخلاف: "لايفعل" و "ما يفعل". والأخرى: تقديم فعل (كان) على اختلاف صيغه(٣٥)، نحو: "كان قد فعل" و "كان يفعل" و "سيكون قد فعل" إلى آخر ذلك. فكل هذا ينوّع معاني الفعل، تنويعاً أكثر بكثير، مما يوجد في آية لغة، من سائر اللغات السامية، قريباً من غنى الفعل اليوناني والغربي، أو بالأحرى: أغنى منهما في بعض الأشياء ... فاللغة العربية أكمل اللغات السامية، وأتمها في هذا الباب، أي باب معاني الفعل الوقتية وغيرها"(٣٦).

ويبدو لي أن المتّهمين أجمعهم ينقسمون إلى طائفتين: طائفة تنعت العربية نفسها بالقصور، وقد غدا من المسلَّم به في الدرس اللغوي الحديث أن أي رأيٍ ينطلق من افتراض نقص في اللغة، إنما هو منطق غير صائب، "إذ لا يوجد أبداً نقص لغوي أو تفوُّق لغوي، بل تنظيم لغوي"(٣٧). وأما الطائفة الأخرى فهي الذاهبة إلى وسم نحو النحاة بالقصور.

وإذا كنا لا نصوِّب رأي الطائفة الأولى، فإننا لا نستطيع بالقدر نفسه أن نقبل رأي الثانية. أقول: مع أن عناية السلف بأوجه الزمن وردت مقتضبة غير مقصودةٍ لذاتها، إلا أنني لا ألمح في صنيعهم أي ضيْر. ذلكم أن الأمر ليس معزوًّا ــ فيما أُقدِّر ــ إلى قصور في أدواتهم، أو إلى خللٍ في منهجهم: إنما كل ما في الأمر أن القوم التزموا بالهدف الذي من أجله قامت دراساتهم وظهرت. فقد

اختطّوا لأنفسهم منذ أول عهدهم بالدرس النحوي، أن يتصدّوا لذلك اللحن الذي جعل ينتشر في ألسنة الناس. وإذا عرفنا أن الناطق بالعربية، وهو المقصود من الدرس النحوي العربي القديم أول الأمر وآخرهُ(٣٨)، لا يجترح أخطاء تنتمي إلى أوجه الزمن، كان من الطبيعي أن لا يفردوا هذه الأوجه بالبحث والاستقصاء، وأن لا يولوها عنايةً مستفيضة.

وإن نحن رجعنا النظر في الجمل اللاحنة السالفة (١-٢٧)، أدركنا أن الناطق بالعربية لا ينتج جملاً تحتوي على أخطاء تركيبية كهذه. إذ من غير المتصور أن يقول الناطق بالعربية ـ مثلين ـ: (* كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ يدعو اليهود إلى الإسلام برفق)، أو: (*سقط أحمد على الأرض، وبدأ قرأ الكتاب). وإنما هي حكر على متعلمي العربية من الناطقين بغيرها. فليس ثمة شك عندي في أن الناطق بالعربية يتقن، بملكته اللغوية المكتسبة اكتساباً، توظيف الأوجه المختلفة للزمن الماضي، دون أن نعلّمه إياها على نحوٍ منهجيٍ نظريٍ يخالطه الوعي ــ في المدرسة ــ. فالناطقون بالعربية يقولون ـ مثلاً ـ: (كنت أحب الذهاب إلى شاطئ البحر في طفولتي)، من غير أن تكون لديهم أي معرفةٍ واعيةٍ عن "الماضي المتجدد". يمكن القول بطريقة أخرى: إن اللهجات العربية المحكية تتيح للناطق بها أن يكتسب جُلَّ أَوْجُهِ الماضي: (كان + فَعَلَ) و (كان + يَفْعَلُ) و (ظل + يفعل) و (صار + يفعل) و (بَدأ + يفعل) ... ولذا أصبحت هذه الأوجه جزءاً من الكفاية اللغوية التي يكتسبها الناطق بالعربية فتستحكم فيه سليقة. ولقد بات معلوماً أن الناطق باللغة ـ أي لغة ـ إذا أخطأ، فإنه لا يخطئ فيما يكتسبه اكتساباً، بل يكون خطؤه فيما لم تُتِحْ له لغتُه اكتسابَه. يقول نهاد الموسى:(٣٩).

"لا مجال للقول بأن المرء يخطئ في لغته الأم التي يكتسبها وتستحكم فيه سليقة، فإذا هَفَا أو زلّ نبّهه ذلك " المثال الكامن" فيه، الذي يتصرف بنظام اللغة عنده ويجريه".

والأمر مختلف جدّاً حينما نحوِّل أنظارنا إلى طلابٍ يُقبلون على تعلم العربية وأذهانهم خلوّ تماماً من كل ما له علاقة بالعربية. أعني طلاب العربية الناطقين بغيرها.

من أجل ما سبق كله أرى أن تقديم أوجه الزمن الماضي للمتعلم الناطق بالعربية سيكون عملية غير مجدية البتة، لأنه لن يضيف له شيئاً ذا بال، هذا إن ارتضينا أن يكون الهدف من تقديم النحو للمتعلمين تقويم الألسنة عند الكلام، وضبط الأقلام عند الكتابة.

وبسبب من ذلكم، أرى أن تقديم أوجه الزمن ـ بشكل عام ــ وأوجه الماضي ــ على نحو خاص ـ، مما يحتاج إليه متعلمو العربية من الناطقين بغيرها، دون متعلميها من الناطقين بها.

ولعل في هذا ما يؤكد صحة ما دعونا إليه في بحث سابق من ضرورة إقامة "نحوين"، نحوٍ خاصٍ بكل فئة من فئتي متعلمي العربية: الناطقين بغيرها والناطقين بها. "إذ من الضروري أن يكون

للطلاب من الناطقين بغير العربية نحو خاص بهم، يختلف ـ هوناً ما ـ عن النحو الموجه للطلاب من الناطقين بها"(٤٠). ويمكن أن نسجل هنا أن مبحث "أوجه الزمن" مما ينماز به نحو الناطقين بغير العربية عن نحو الناطقين بها.

قواعد التعبير عن أوجه الزمن الماضي في اللغة العربية:

بسبب ما سبق كله وضعت محاولتي التالية بغية تقديم توصيفٍ مقنَّنٍ بطريقةٍ أظنها سهلةً(٤١)، للأوجه المختلفة للزمن الماضي في العربية.

وقد رأيت أن أختار ـ قبل كل شيءٍ ـ نصاً تكون أوجه الماضي موَّظفةً فيه ما أمكن؛ لكي يسهل التعامل معها، ويسهل تقديمها للطلاب بطريقة عملية حية. ومن ثمَّ يمكن أن ننتهي إلى سلسلة منتظمة من القواعد لأوجه الزمن الماضي في العربية(٤٢).

الحمار الذكي(٤٣)

كان فلاح يملك ثوراً وحماراً. وذات يوم، اتّجه الحمار إلى الثور، وكان الثور قد عاد من الحقل ورقد وهو يتألم، فلما رآه الحمار في تلك الحال سأله عن سبب تألمه ورقاده، فقال الثور:

لقد قضيت اليوم كله في العمل والتعب، فكنت أحرث الأرض مرَّةً، وأسقي الزرع مرةً، وكنت أجرُّ الأثقال مرةً ثالثةً. فهل عندك يا صديقي طريقة تريحني من العمل وتبعدني عنه؟

قال الحمار: امتنع عن أكل طعامك حين يقدم إليك، فإذا رآك صاحبك في الصباح ولم تأكل طعامك، تركك في المنزل ولم يأخذك إلى الحقل. وبذلك تستريح.

شكر الثور الحمار، وقرَّر أن يعمل بنصيحته. وعندما حضر الفلاح في الصباح كان الثور يتألم، فنظر إلى طعام الثور فوجده كما هو، فقال الفلاح: إن الثور مريض لا يقدر على العمل، سأتركه اليوم في المنزل، لكي يستريح وترجع إليه الصحة والعافية.

ركب الفلاح الحمار وذهب إلى الحقل، وفي الحقل وجد الفلاح الأعمال أمامه كثيرةً، لا يستطيع القيام بها وحده. فقرر أن يستعين بالحمار.

ظلّ الفلاح يستعين بالحمار في أعماله كلها، من أول النهار إلى آخر تألم الحمار كثيراً، وعاد إلى المنزل وهو في أشد الضيق؛ لأنه كان قد أراح الثور وأتعب نفسه، وقال:

مازال الثور يتمارض، فلا بد من حيلةٍ تجعله يعود إلى الحقل، حتى أستريح من العمل.

دخل الحمار على الثور، وأخذ يجري ويقفز وهو مسرور نشيط، فقال له الثور: كيف قضيت يومك؟ قال الحمار: لقد تركني صاحبي أفعل ما أشاء، فكنت أجري وألعب وأرعى، ولم أعمل شيئاً ثم سكت وقال: ولكنني سمعت خبراً مؤلماً يا صديقي.

قال الثور: وما هو؟

قال الحمار: سمعت صاحبنا يقول للجزّار: عندي ثور مريض، أريد أن أذبحه وأبيع لحمه وأشتري غيره. اضطرب الثور وخاف، وقال: وما العمل يا صديقي؟

قال الحمار: رأيي أن تأكل طعامك، وتترك المرض، وتظهر أمام صاحبك قوياً نشيطاً؛ حتى لا يفكر في ذبحك.

وفي الصباح، وجد الفلاح الثور قوياً نشيطاً قد استعاد عافيته، ففرح وأخذه إلى الحقل؛ لكي يساعده في أعماله، والحمار ينظر إليه ويضحك.

والآن اقرأ الجمل التالية التي وردت في النص والْحَظْ الزمن في كل منها:

١- ركب الفلاح الحمار، وذهب إلى الحقل.

٢- لقد قضيت اليوم كله في العمل.

٣- اتجه الحمار إلى الثور، وكان الثور قد عاد من الحقل.

٤- عندما حضر الفلاح في الصباح كان الثور يتألم.

٥- ظل الفلاح يستعين بالحمار في أعماله كلها، من أول النهار إلى آخره.

٦- مازال الثور يتمارض.

٧- دخل الحمار على الثور، وأخذ يجري.

ولعلك تلاحظ أن الزمن في الجمل السابقة واحد، هو الزمن الماضي. فركوب الفلاح الحمار تَّم في الماضي، وكذلك ذهابه إلى الحقل، وقضاء اليوم في العمل تمّ أيضاً في الماضي، وكذلك عودة الثور من الحقل، وتألُّم الثور، واستعانة الفلاح بالحمار، وتمارض الثور، وجري الحمار. كل ذلك تمّ - بلا شك - في الماضي، إلا أن تلك الجمل تختلف في وجه حدوث أفعالها. أي أنها تختلف من حيث البعد والقرب والانقطاع والاستمرار والتجدد والشروع والاتصال بالحاضر.

١- الماضي المطلق (فَعَلَ)(٤٤) (Simple past) (٤٥)

يعبّر الماضي المطلق عن حدثٍ وقع في الماضي، دون تعيين أو تحديد. فقد يكون ذلك الماضي قريباً، وقد يكون بعيداً، وقد يكون مستوعبا للزمن الماضي كله، وقد يقع في جزء من الماضي. انظر الجمل التالية:

- ركب الفلاح الحمار، وذهب إلى الحقل.
- اتجه الحمار إلى الثور.
- شكر الثور الحمار.

- تألم الحمار.
- دخل الحمار على الثور.
- تعطّلت السيارة.
- سافر زيد.
- أكل الطفل.

فالأفعال في هذه الجمل أفعال ماضية، لكنها تخلو من أي تحديد لطريقة حدوثها أو هيئة وقوعها، أي أنها تدل على مطلق الزمن الماضي حسب.

٢- (قد فعل):

لصيغة (قد فعل) دلالتان نبرزهما فيما يلي:

الدلالة الأولى: الماضي القريب أو الماضي المنتهي في الحاضر: Present Perfect Tense (٤٦)

تعبّر صيغة (قد فعل) عن حدث وقع في زمنٍ يقرب من زمن التكلُّم، أو مازالت آثاره ملموسة في الحاضر، فتقول: (قد تناولت الغداء) إذا كان تناولك الغداء قد تم وانتهى قبل كلامك بقليلٍ، أو كان أثر ذلك التناول لا يزال ملموساً وهو الشبع.

وقد سبق إلى تبيُّن هذا اللمحظ الدلالي لصيغة (قد فعل) بعض علماء العربية القدامى. أشار "ابن هشام" إلى أن (قد فعل) تستعمل لـ "تقريب الماضي من الحال، تقول: "قام زيد" فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد. فإذا قلت: "اختصَّ بالقرب"(٤٧).

ويفهم من صنيع الباحثين أن لصيغة (قد فعل) دلالةً واحدةً فحسب، هي الدلالة على الماضي القريب(٤٨). وإذا كان هذا صحيحاً فأين تكْمُن الصعوبة التي يقررها (كمال بدري) في قوله: "قد يصعب على الطالب استخدام (قد فعل) وذلك للاختلاف الكبير بينها وبين صيغة الـ: Present Perfect الموازنة لها في لغته"(٤٩)؟

القول بأنه يصعُب على الطالب استخدام (قد فعل) أمرٌ مقرّرٌ ولا ريب فيه البتّة، بل إن توظيف (قد فعل) يمثّل مشكلة كبرى في هذا السياق. غير أن السبب في ذلك ليس الاختلاف الكبير بينها وبين صيغة الـ: Present Perfect الموازنة لها في لغة الطالب. و (كمال بدري) نفسه لم يوقفنا على ذلك "الاختلاف الكبير" الذي يذهب إليه عندما تحدّث عن دلالة (قد فعل)، بل إنه اكتفى بتقرير أنها مقابلة لصيغة الـ: (Present Perfect).

والحق أن سبب ذلك ـ فيما أرى ـ يعود إلى أن صيغة (قد فعل) نفسها لا تأتي للدلالة على

الماضي القريب دائما، فواقع النصوص اللغوية القديمة والحديثة يثبت إلى جانب تلك الدلالةِ دلالةً أخرى سنذكرها لاحقا.

وأظن أن الذي دفع هؤلاء الباحثين إلى إطلاق تلك الدلالة وتعميمها أمران: الأمر الأول: أنهم كانوا يحاولون ـ عندما تناولوا مبحث الزمن في العربية ـ أن يجدوا مقابلا عربيا (أو تركيبا عربيا) "مطابقا" لكل وجه من أوجه الماضي في الإنجليزية. وبطريقة أخرى: أنهم كانوا يحاولون جاهدين أن يطبقوا قواعد أوجه الماضي في الإنجليزية على اللغة العربية. والأمر الثاني: هو تأثرهم بما قالته عائشة رضي الله عنها ـ بشأن الآية الكريمة الأولى من سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٥٠). إذ قالت ـ فيما تروي كتب التفسير ـ: "فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية..."(٥١). فقد ربطوا بين قول عائشة ـ رضي الله عنهما ـ هذا وبين صيغة (قد فعل) في الآية، وهو ربط يمكن أن يكون صحيحا، غير أن تعميمه على كل استخدام لـ (قد) خاطئ، ما لم نقم باستقراء الأمر في عيِّنةٍ من النصوص المختارة.

أقول: حاولتُ دراسةَ دلالة (قد فعل) في بعض النصوص، فكانت ـ وهذا غريب ـ لا تدل على قرب الماضي في كثير منها. ولذلك وفي غمرة عدم قدرة الباحثين على تقنين المسألة بطريقة تناسب الاستخدام الفعلي لها في اللغة، راح الطلاب ـ بجميع فئاتهم ـ يستعملون (قد) بكثرة ملحوظة قبل أي فعلٍ ماضٍ، على نحو لا يقبله الإلف اللغوي.

والغريب أن بعض المدرّسين يستبدلون بتلك الدلالة دلالةً أخرى يستحبونها كثيراً ولا يتجاوزونها إلى سواها، هي "التحقيق"(٥٢)، فيعلّمون الطلاب أن (قد) في (قد فعل) إنما هي للتحقيق. وإذا كان هذا صحيحا فإن بإمكان الطالب استخدام (قد) قبل أي فعل ماض ومتى شاء طالما أنها للتحقيق. غير أن الاستخدام الفعلي للغة لا ينطق بهذا ولا يقرّه(٥٣). وقد نتج عن تلك القاعدة الخاطئة (قد: للتحقيق) أنْ كتب أحد الطلاّب، يوماً، عن سفره إلى الأردن موضوعاً بدأه بقوله: (قد: سافرت إلى الأردن...)، ولا يخفى أنه استخدام ممجوج في هذا السياق، كان نتيجةً طبيعية للقاعدة الخاطئة التي عُلِّمَها. وقد ذهب ـ من قبل ـ أحد الباحثين مذهباً قريباً حينما نفى عن "قد" دلالة "التوكيد". قال: (٥٤)

"فليس هناك توكيد على الإطلاق في جملة مثل: قال الرجل إنه قد فعل كذا".

الدلالة الثانية لـ (قد فعل):

تستخدم صيغة (قد فعل) في كثير من الأحيان في الإجابة عن سؤال ينتظر فيه السائل من

المجيب أن يأتي في إجابته بما يتوقعه، وذلك ـ بالطبع ـ في حال جاءت الإجابة بالإثبات. فإذا سُئِلْتَ: (هل أكلتَ؟)، فإن السائل ينتظر أن تخبره بفعل الأكل، أو يتوقع سماع ذلك منك، وعندئذ تأتي الإجابة على النحو: (قد أكلتُ). وهكذا. فـ (قد) جاءت هاهنا قبل فعل ينتظر السائل معرفته ويتوقع[٥٥] سماعه. وقد يقول المرء ـ دون سؤال ـ: (قد جاء المدرّس)، وذلك لمن ينتظر مجيئه أو يتوقعه.

ويبدو أن "الخليل" كان أول من استنبط هذه الدلالة. قال "سيبويه"[٥٦]:

"وأما (قد) فجواب لقوله: (لمّا يفعل)، فتقول: (قد فعل). وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر".

إذن تقوم (قد) ـ حسب هذا ـ بدور دلاليّ تظهر فيه بوصفها أداةً لأمر إبلاغي، أو قل تحاوريّ تواصليّ. بمعنى أن الناطق اللغوي حينما يستعمل (قد)، فإنه يقدم بعدها ما يظن هو أن المتلقي اللغوي (المستمع أو القارئ) مَعْنِيٌّ بمعرفته واستقباله من الرسالة اللغوية. ولذا أرى من الصواب القول: إن استخدام (قد) محكوم بوجود سؤال حقيقي أو متوهم. قال "سيبويه" عن (قد)[٥٧]:

"هو جواب لقوله: (أفْعَلَ؟) كما كانت (ما فعل) جواباً لـ (هل فَعَلَ؟) إذا أخبرت أنه لم يقع".

وأعتقد أن هذه الدلالة تنتظم الجزء الأكبر من استخدامات (قد فعل)، وفيما يلي بعض الأمثلة:

١- زرت تلك المدينة مع بعض الأساتذة والطلاب، وقد رأينا قصورها العظيمة. فالقائل قال: (قد رأينا) لأنه يتوقع من المستمع أو القارئ أن يسأله عما رآه في تلك المدينة من أشياء جميلة. والشيءُ نفسه يقال في المثالين التاليين أيضاً:

٢- التقيت بصديقنا العزيز ماجد، وقد أسف لأنه لم يجد وقتاً لزيارتك.

٣- عُقِدت الجلسةُ في الساعة الخامسة بعد الظهر، وقد بُحِث في تلك الجلسة عدد كبير من الشؤون الهامة.

وأميل إلى اعتبار هذه الدلالة هي المرجوّة من استخدام (قد) في الآية الأولى من سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِيْ تُجَادِلُكَ فِيْ زَوْجِهَا ...﴾ (سورة المجادلة، الآية: ١)، ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمجادِلة كانا ينتظران خبراً من الله ـ جل في علاهُ ـ ورداً على مشكلة المشتكية، وكانا يتوقعان أن يُنزِل اللهُ في هذه المشكلة قرآنا يُتلى[٥٨].

وما قيل بشأن (قد فعل) يقال الشيء نفسه تماما بشأن: (لقد فعل)، كقول الثور بعد عودته من العمل: (لقد قضيت اليوم كله في العمل والتعب). وكقول الحمار: (لقد تركني صاحبي أفعل ما أشاء).

ويستشهد بعض الباحثين القدماء والمحدثين، بقول المؤذن عند إقامة الصلاة: "قد قامت الصلاة"، على أن (قد فعل) إنما هي للماضي القريب. فقد جاء في (لسان العرب) تعليقا على البيت:

ياليتني قد زرت غير خارج أمَّ صبيٍّ، قد حبا، ودارج

"إنما أراد أم صبي حاب ودارج، وجاز له ذلك لأن (قد) تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه أو تكاد، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها"(٥٩).

والحقيقة ـ كما أراها ـ أن المؤذن يستخدم (قد فعل) هاهنا لمن يتوقع إقامة الصلاة وينتظرها في أي لحظة، وهم المصلون. قال الخليل: إن "قول القائل: (قد فعل) كلام لقوم ينتظرون الخبر. ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، لأن الجماعة منتظرون"(٦٠). وقال "الزمخشري" في "**المفصل**": "ومن أصناف الحرف حرف التقريب وهو (قد). يقرب الماضي من الحال إذا قلت: (قد فعل). ومنه قول المؤذن: (قد قامت الصلاة)، ولابد فيه من معنى التوقع"(٦١).

وقال ابن الخبار: "إذا دخل (قد) على الماضي أثر فيه معنيان: تقريبه من زمن الحال، وجعله خبراً منتظراً. فإذا قلت: قد ركب الأمير، فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك، هذا تفسير الخليل"(٦٢).

ولعل مما ينهض دليلاً على أن (قد) إذا دخلت على الماضي قرَّبته من الحال (قد فعل)، وهي دلالة الماضي القريب المشار إليها أولاً فيما خلا من حديث، أنها تقع في موقع الحال كقولك: (رأيتك وقد قام زيد)(٦٣). إلى درجة أن بعض السلف لم يتصور مجيء هذا النمط من التراكيب دون (قد)، فراح يقدّرها ويقول بحذفها وهي مَنْوِيَّةٌ(٦٤)، ولذلك أوجب البصريون إلا الأخفش دخول (قد) على الماضي حالا(٦٥). من ذلك قول الحق ـ عز اسمه ـ في التنزيل العزيز: ﴿**قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ**﴾(٦٦).

ومما يدل على صحة دلالة (قد فعل) على التوقع وانتظار الخبر، وهي الدلالة الثانية، أنها قد ترد في جواب القسم إذا أجيب بماضٍ متصرفٍ مثبتٍ(٦٧). وذلك في نحو: ﴿ **تَٱللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا**﴾(٦٨). إذ عندما يستقبل المتلقي اللغوي كلمة القسم أو عبارته "تالله" هنا، فإن شغفه لمعرفة المقسم عليه يكون كبيراً. بكلام آخر: إن الناطق اللغوي إذا استعمل القسم وأراد أن يأتي بالماضي المتصرف المثبت في جوابه، فإنه يوظِّف (قد) لعلمه أن المستمع (أو المتلقي) ينتظر أن يعرف على أي شيء يقسم(٦٩).

ويمكن لنا أن نستشهد على استعمال (قد) للتعبير عن جواب من ينتظر الخبر، بما نلحظه من كثرة ورود (قد) في لغة أخبار الحوادث، كحوادث الإطفاء والإسعاف والإنقاذ... إذ كثيرا ما يرد الخبر على النسق اللغوي التالي: (تم في عمان إخماد حريقٍ شبَّ في أحد المنازل نتيجة انفجار خرطوم الغاز، وقد نتج عن الحادث إصابة المدعوة.... (٣٩ سنة) بحروق باليدين والقدمين، والطفل... (١٣ سنة) يعاني من حروقٍ باليدين، وقد تم نقلهما إلى مستشفى الجامعة). وأرجح عالياً اقترانها هاهنا بما يمكن أن يشكل نتيجة للحادث أو نهاية للمشكلة، إذ أن أشد ما يستحوذ على فكر القارئ (أو المستمع) ـ في سياق الكلام على الحوادث ـ معرفةُ على أي وجه استقر الحادث وما كانت نتيجته.

وجدير بالذكر أن لمعظم كتب تعليم العربية تجاه الأداة (قد)(٧٠) ـ سواء كانت تلك الكتب للناطقين بغيرها أو للناطقين بها ـ أحد موقفين: فهي إما أن تتجاهل هذه الأداة تجاهلاً تاما بحيث لا تتعرض لها من قريب أو بعيد(٧١)، أو أن تكتفي بالدلالة "المائعة" التي قررنا سابقا خطأً القول بها، وهي دلالة (قد) ـ فيما يقولون ـ على "التحقيق"(٧٢).

٣- الماضي البعيد (كان +فعل) أو (قد كان +فعل) أو (كان +قد فعل)(٧٣) Past Perfect Tense

تستخدم العربية إحدى هذه الصيغ الثلاث: (كان فعل) (أو: قد كان فعل) (أو: كان قد فعل) في الجملة لتعبّر عن حدث وقع قبل حدث آخر. أي أننا هنا أمام حدثين، أحدهما تم قبل الآخر. والحدث الذي تم أولا يوضع في صيغة (كان قد فعل)(٧٤) أي في صيغة الماضي البعيد، ولكنه يُذكر تالياً للحدث الآخر. يتضح هذا من خلال الجمل التالية:

- ذات يوم، اتجه الحمار إلى الثور، وكان الثور قد عاد من الحقل.
- عاد الحمار إلى المنزل وهو في أشد الضيق؛ لأنه كان قد أراح الثور وأتعب نفسه.

ففي الجملة الأولى نجد أن عودة الثور من الحقل قد وقعت قبل أن يتّجه الحمار إليه. وفي الجملة الثانية: إراحة الثور وقعت قبل عودة الحمار إلى المنزل.

ولقد أصبح استخدام صيغة (كان قد فعل) مما يميّز لغة التقارير الصحفية السياسية كما في الجمل التالية(٧٦):

- استقبل جلالة الملك أمير دولة قطر أمس. وكان الأمير قد وصل في الساعة الثامنة من مساء أمس.
- تسلّم الرئيس الأميركي الجديد منصبه صباح اليوم. وكان الشعب الأمريكي قد انتخبه رئيسا قبل شهرين.
- أذاع راديو عمان أن رئيس الحكومة قد عاد إلى عمان من القاهرة، وكان رئيس الحكومة قد سافر إلى القاهرة لحضور مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي انعقد هناك.

إذا كانت صيغة (فعل) دالة على المضيّ بإطلاق، فإن الائتلاف التركيبي الذي يجمع بين (كان) و (فَعَلَ) ينقُل (فَعَلَ) من دائرة الإطلاق والتعميم واستغراق الزمن بأكمله، إلى دائرة التخصيص والتعيين، فتغدو دالة على قسم خاص من الزمن الماضي هو "الماضي البعيد".

يذهب نفر من الباحثين المحدثين إلى القول: إن صيغة (كان فَعَلَ) تستعمل للدلالة على أن الحدث وقع في الزمن الماضي البعيد. ولا يزيدون على هذا القول شيئاً(٧٧). وهو قول ــ حين توجيهه إلى متعلمي العربية ـ موغل في الإبهام، ومستغلق حتماً على الأفهام. أظن أن من اللازم الإشارة إلى أن البعد المقصود من هذا الوجه من أوجه الماضي ـ أي: الماضي البعيد ـ، إنما هو بُعْدٌ بالنسبة إلى فعْل آخر يذكر معه في السياق ذاته. أو بعبارة أخرى ـ أن "الماضي البعيد" يعبّر عن حدث تم قبل آخر، وكل حدث من الحدثين يذكر في جملة مستقلة على الأغلب، وأن الجملة المشتملة على صيغة "الماضي البعيد" (كان قد فعل)، يجب أن تُسبق بالجملة التي تحتوي على الحدث الذي وقع تالياً. وقد يكون مستحسناً أن نجلي هذا الترتيب أو التركيب بوضع متوالية بالصورة الآتية:

الفعل الذي وقع ثانياً أو تالياً (صيغة الماضي المطلق: فَعَلَ) + الفعل الذي وقع أولاً (صيغة الماضي البعيد: كان قد فَعَلَ).

وقد يؤنس المقامَ أن نمثّل لهذا الوجه من الماضي بما جاء في التنزيل العزيز ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**﴾(٧٨). إذ من الواضح أننا في الآية إزاء حدثين حصلا في الماضي الفعل المذكور أولاً هو حمل الله تعالى نوحاً على السفينة (أي: نجاته من الغرق)، وأما الفعل الوارد في الآية ثانياً فهو كفر قوم نوحٍ به. ولما كان الكفر قد حدث قبل النجاة فقد عبّر عنه بصيغة الماضي البعيد: (كان كُفِر). أما الفعل الآخر وهو نجاة نوح ــ عليه السلام ــ بحمله على السفينة، فقد جاء بصيغة الماضي المطلق: (حملناه). وليلحظ المرء أن الفعل الذي حدث "أولاً" على صعيد الواقع، وهو الكفر بنوح، قد ذُكر في الآية "ثانياً". وأما الفعل الذي حدث "ثانياً"، وهو حمل الله عز وجل نوحاً على السفينة، فقد ذكر في الآية "أولاً". ومن هذه الطريق استنبط "حامد عبد القادر" إشارةً لطيفةً من الآية، هي "تنبيه الأذهان إلى إدراك الفرق الواضح بين حالي نوح ــ عليه السلام ـ: حاله حين كفر به قومه وسخروا منه وهو يصنع الفلك، وحاله حين حمله الله ــ تعالى ــ على السفينة نفسها التي كان يصنعها وأنجاه من الغرق؛ فكأن الله ـ تعالى ــ يقول: "إن هذا النبي الذي حملناه على سفينة الخشب التي كان يصنعها، هو نفسه الذي كفر به قومه وسخروا منه حين كان يصنع السفينة نفسها"(٧٩).

من الأمور الجديرة باللحظ والدرس في هذا السياق، أن العربية تمتلك ثلاث صيغ للتعبير عن

الزمن الماضي البعيد، وهذه الصيغ ـ فيما هو مذكور سابقاً ـ هي: (كان فعل) و (قد كان فعل) و (كان قد فعل). والحق أن هذا يؤشر إلى وجود ملمح تاريخي في المسألة، أو لنقل: أن وجود هذه الصيغ الزمنية الثلاث جنباً إلى جنب في الاستعمال اللغوي، يقضي بالباحث إلى تصور خط زمني تطوري ارتحلت فيه الصيغة الأصلية القديمة للماضي البعيد، وذلك عبر المراحل اللغوية المختلفة. ومن أجل هذا أرى أن ثمة صيغة واحدة من الصيغ الثلاث تعدّ الصيغة الأقدم، وأحسب أنها الصيغة الناشئة من اجتماع فعل الكينونة (كان) بالفعل الآخر (فَعَلَ) الذي يراد التعبيرُ عن حدثه في صيغة الماضي. إذن حسب هذا، تكون الصيغة المكونة من فعلين دون الأداة (قد) هي الصورة الأقدم (أي: كان فعل). ويمكن عدُّها الأصلَ الذي عنه تحولت الصورتان الفعليتان الأخريان (أي: قد كان فعل، وكان قد فعل).

يتبيّن مما سبق أن العربية كانت تقتصر في المرحلة الزمنية الأولى على صيغة (كان فعل) للدلالة على الماضي البعيد. ولكننا إن عتبنا خطوة أخرى في التطور، وجدنا أن الناطق اللغوي صار يعامل تركيب (كان فعل) معاملة "فعل مركبٍ"(٨٠). أعني أن العقل أخذ يحس بهذين الفعلين المتتابعين (كان فعل) وكأنهما دالٌّ واحد أو وحدةٌ واحدة أو فعلٌ واحد، رغم أنه يمكن وضع كلمة بينهما(٨١). وبسبب هذا، أمكن تطبيق بعض القوانين اللغوية التي للفعل "المفرد" (مثل: قَرَأَ، سَأَلَ، وَجَدَ) على "الفعل المركب" (كان فعل). فأصبح ممكناً سبق "الفعل المركب" بـ "قد" قياسا على جواز سبق الفعل "المفرد" بـ "قد". إذ صار الناطق باللغة يقول: (قد كان فعل) تماما كما يقول: (قد سأل). من هنا أستحب أن ينظر إلى (قد كان فعل) بوصفها المرحلة اللغوية الثانية التي أعقبت (كان فعل).

أما الصيغة (كان فعل) فتعدّ ـ في نظري ـ الحلقة الثالثة في سلسلة التطور اللغوي. وأظن أن المسؤول عن إنتاجها وتوليدها من (قد كان فعل) هو ميل العربية إلى عدم استحباب اقتران الفعل بالفعل، أو اتجاهها نحو رفض دخول الفعل على الفعل في مراحل لاحقة(٨٢). قال "الرازي": "الفعل لا يدخل على الفعل عقلاً ونقلاً" (٨٣). وهذا حَدَا بالعربية إلى أن تُحرك الأداة (قد) من صدر الصيغة (قد كان فعل) إلى موضع تكون قادرة فيه على الفصل بين (كان) من جهة، و (فعل) من جهة ثانية، لفك المحظور المتولد من اقترانهما، فكان أن نشأت الصيغة: (كان قد فعل). وإذا قُبِل هذا الرأي حُقَّ لنا أن نسمي (قد) في هذه الصيغة "أداة فصل".

ولعل هذه الفكرة عينها هي التي ألجأت السلف إلى أن يقدروا ضميراً منويّاً مستكناً في (ليس) في مثل القول: (لَيْسَ خَلَقَ اللهُ مِثْلَهُ). يقول شارح المفصل(٨٤):

"ففي (ليس) ضمير منْوِيٌّ مستكِنٌّ؛ لأن (ليس) و (خلق) فعلان، والفعل لا يعمل في الفعل،

فلا بدَّ من اسم يرتفع به فلذلك قيل فيه ضمير".

ويلتقي هذا مع ما ذكره "الكوفيون" من أن الفعل الماضي لا يقع في خبر (كان) إلا بشرط اقترانه بـ "قد" ظاهرة أو مقدرة(٨٥).

ويمكن أن نمثل للخطّ الزمني الذي يرمز إلى المراحل اللغوية المتعاقبة التي مرّت بها صيغة الماضي البعيد في العربية بالشكل الآتي(٨٦):

٤- الماضي المستمرّ: (Past Continuous)

تناول جمع من الباحثين دلالة بعض الصيغ الزمنية على الماضي المستمر. فقد ذهب "فندريس" إلى "أن المضارع في العربية يُسبَق بفعل الكون ليدلّ على الاستمرار في الماضي"(٨٧).

غير أنني أدعو إلى تبيُّن بُنيتين دلاليتين مختلفتين تحت دلالة الاستمرار في الماضي، فأفرق بين الاستمرار عبر الاتصال، والاستمرار عبر التكرار (أو التجدُّد). ويمكن أن نؤسس على هذا القول: أن الماضي المستمر في العربية فعلان لا فعل واحد، أولهما: هو الفعل الماضي المتصل، والآخر: هو الفعل الماضي المتكرر (أو المتجدد). ونبيّن هذا في الخطاطة التالية:

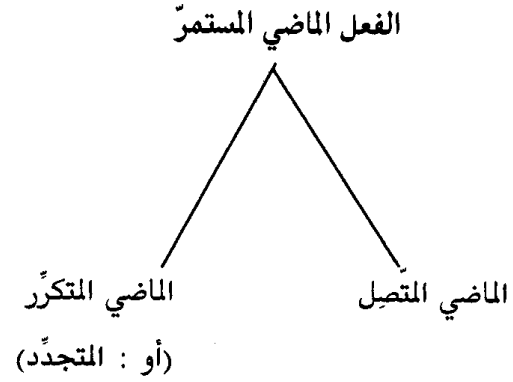

وتحمل صيغة (كان يفعل) دلالتي الاستمرار (الاتصال والتكرار)، وكذا بالنسبة إلى صيغة (ظلَّ يفعلُ). وفيما يلي مزيد بيان:

أولاً: (كان + يفعل):

تأتي صيغة (كان يفعل) بدلالتين:

الدلالة الأولى: الماضي المتصل

وهي الدلالة على حدوث فعلٍ وقَع في الماضي بصورة مستمرّة متصلة دون انقطاع، ولم يتوقف إلا بوقوع حدث آخر يكون في صيغة الماضي المطلق في كثير من الأحيان. وقد يربط بين الحدثين بإحدى أدوات الربط التعليقية التالية:

(عندما ـ حينما ـ بينما)

ومثال ذلك:

- عندما حضر الفلاح في الصباح كان الثور يتألم.
- بينما كنت أقرأ كتاب اللغة العربية زارني عليّ.

وتستخدم صيغة (كان يفعل) بهذه الدلالة للإجابة ـ في كثير من الأحيان ـ عن السؤال: ماذا كنت تفعل؟ فتكون الإجابة: (كنت أشاهد التلفاز، كنت أصلي، كنت أتناول إفطاري، كنت أتكلم بالهاتف). وعندما سأل الثور الحمار عن يومه كيف قضاه أجاب: كنت أجري وألعب وأرعي.

ويمكن التمثيل للماضي المتصل بخطّ مستقيم: (←———). والخط المستقيم يتكون من مجموعة من النقاط المتصلة، ولكنه لا يمتد هنا إلى ما لا نهاية، بل إنه انقطع بوقوع فعل آخر، ذكر في الجملة أو لم يذكر.

الدلالة الثانية: الماضي المتكرر أو المتجدد:

به يمكن التعبير عن حدث تم في الماضي بصورة متكررة متجددة في لحظات زمنية متباعدة، وقد تم ذلك الفعل في الزمن الماضي بصورة دائمة. يفهم من هذا أن الفعل كان يحدث بين لحظة وأخرى، كان يحدث مرة ثم ينقطع، ثم يحدث مرة أخرى فينقطع، وهكذا. مثال ذلك.

- كان أبي يعطف على الفقراء والساكين.
- كنا نمارس الرياضة.

وفي حقيقة الأمر تأتي صفة التجدد(٨٨) والتكرار (وقوع الفعل في لحظات زمنية متباعدة) من طبيعة الفعل المقترن بـ "كان" في صيغة (كان يفعل). فالعطف على الفقراء لا يحدث إلا بصورة متكررة متجددة وليست مستمرة متصلة، كما هي الحال في الدلالة الأولى. وكذلك الأمر بالنسبة لممارسة الرياضة. فإنها تتم في فترات زمنية متباعدة وليست متصلة.

ويمكن التمثيل للماضي المتكرر أو المتجدد بالشكل التالي الذي يبيّن وقوع الفعل بشكل محطّات تكرّر فيها الفعل وتجدّد ولم يتّصل.

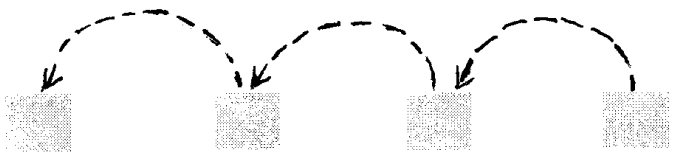

ينكشف لنا مما مضى أن ثمة وجهاً للاتفاق بين دلالة "الاتصال" ودلالة "التكرار".يتمظهر هذا الوجه في أن كلتا الدلالتين تنبئان عن وقوع الفعل بصورة مستمرة في الماضي. ولكن هيئة استمرار كلٍّ مختلفة. ومن هنا نقول: كما كان للاتفاق وجه، فإن للافتراق وجهاً متمثلاً في أن استمرار "الماضي المتصل" ليس متقطعاً، بينما هو كذلك في "الماضي المتكرر".

قد بيّنا فيما مضى قَبْلُ أن ائتلاف (كان) مع (فعل) قد نقل الثانية من الدلالة على "الماضي المطلق" إلى الدلالة على "الماضي البعيد". ولكن هذا الائتلاف ـ من جهة ثانية ـ قد حافظ على دلالة (فعَل) على القسم الزمني الذي هو الماضي. أما فيما يتعلق بائتلاف (كان) مع (يفعل) فإنه لم يبق على دلالة صيغة (يفعل) على قسمها الزمني وهو الحاضر، بل حول هذه الدلالة ونقلها إلى الماضي المستمر المتصل أو المستمرّ المتكرّر(٨٩).

ثانياً: (ظلّ + يفعل):

إن لصيغة (ظل يفعل) دلالتين تماثلان دلالتي (كان يفعل)، وهما:

الدلالة الأولى: الماضي المتصل

تستخدم صيغة (ظل يفعل) للتعبير عن استمرار الحدث واتصاله في الزمن الماضي حتى لحظة زمنية معيّنة، عندها ينقطع الحدث وينتهي. ولذلك تستخدم (حتى) أو (إلى) في الجملة مع صيغة (ظل يفعل) للتعبير عن انقطاع الحدث.

- ظل الفلاح يستعين بالحمار في أعماله كلها، من أول النهار إلى آخره.
- ظل الطالب يقرأ في المكتبة حتى حان موعد صلاة العصر.
- ظلت اللجنة تبحث موضوع نتائج الطلاب إلى أن انتهى وقت العمل الرسمي.

وفي بعض الأحيان، لا تستخدم (حتى) أو (إلى) مع صيغة (ظل يفعل)، وذلك لأن انقطاع الحدث وانتهائه أمر مستقر في الذهن مفهوم. فـ(ظل) نفسها، بسماتها المعجمية، تفرض في الذهن مفهوم الاستمرار حتى نقطة زمنية معينة. أو يمكن القول إن الناطق اللغوي حينما يحذف أداة الغاية

من الجملة، فإن وجوداً كامناً (Potential) يبقى لها، كما في المثالين التاليين:

- ظل المطر يسقط بغزارة.
- لما نقلنا إليه الخبر المحزن ظلّ يبكي.

وهيئة الاتصال في صيغة (ظل يفعل) لا تختلف في شيء عن هيئة الاتصال في صيغة (كان يفعل).

الدلالة الثانية: الماضي المتكرر أو المتجدد:

وذلك كأن يقول: (ظلّ يتردد على المكتبة حتى آخر لحظة في حياته). وما قيل في (كان يفعل) التي للتجدد والتكرار يقال هاهنا، مع ملاحظة أن تستخدم (حتى) أو (إلى) استخداماً صريحاً ملفوظاً، أو ذهنياً مقدراً ـ فيما أوضحت سابقاً ـ.

وإن تعجب فعجب ماذكره "المنصوري" من أن (ظل يفعل) "تفيد الماضي المستمرّ إلى الحاضر، وربما تستمر إلى المستقبل"(٩٠). والحقيقة ـ فيما انكشف لنا ـ أنها تومئ إلى وقوع الحدث في الماضي على نحو مستمر متصل أو متكرر، بحيث يكون الاستمرار قد دام حتى لحظة زمنية في الماضي أيضاً، سواء أقرُبت تلك اللحظة من الحاضر أم بعُدت. ونجد أن "المنصوري" قد عدل عن ذلك القول في الصفحة نفسها حيث يقول:(٩١) "ولا نقصد هنا بالمستمر أن يستمر إلى زمن الحاضر، إنما تدل صيغته على أن الحدث استمر لفترة من الماضي، قد تقترب من الحاضر، أو قد تبتعد عنه".

وأرى أن تبنّي التفريق الذي يدعو إليه الباحث الحالي قد يفضُّ الإشكال القائم بين (مالك المطلبي) و (تمام حسان) حول دلالة كلٍّ من: (كان يفعل) و (ظل يفعل). ففي الوقت الذي يقترح فيه (حسان) أن يدلّ الفعل المركب الأول على "الماضي المتجدد"، يرى "المطلبي" أنه دالٌّ على "الاستمرار"(٩٢). وإذا كان (حسان) يذهب إلى أن (ظل يفعل) يدل على الماضي المستمر فإن (المطلبي) يعترض على ذلك بالقول: إن دلالة الماضي المستمر هي دلالة (كان يفعل)(٩٣). وبعد هذا كله نفاجأ بأن (المطلبي) يردهما كليهما إلى "الماضي المستمر" ولكن أحدهما هذه المرة يكون عادة، بينما الآخر لا يكون(٩٤). ولم أقف على مراده الدقيق من "الماضي التعوُّدي". وقد اكتفى بأن أحالنا ـ في هذه السبيل ـ إلى بحث "حامد عبد القادر" الذي لم يَزِدْ هو الآخر على القول: "الماضي الاستمراري أو التعوُّدي أو النقلي: ويدل على حدوث الفعل في الزمن الماضي على سبيل الاستمرار أو التعوُّد لمدة معيّنة"(٩٥).

أما أنا فلا أجد فرقاً بين صيغتي (كان يفعل) و (ظل يفعل) سوى أن الثانية تقترن بذهن الناطق بالعربية بدلالة الانقطاع والتوقف أكثر من (كان يفعل). ولذلك فإن العربية لا تذكر أدوات

انتهاء الغاية، مثل: "إلى" و "حتى" مع الفعل (كان يفعل)، بينما هي تفعل مع (ظلَّ يفعل). أقول هذا رغم أن اتصال الحدث في صيغة (كان يفعل) هو الآخر مقطوع، ولكن بحدث آخر موضوع في صيغة الماضي المطلق.

٥- الماضي المتصل بالحاضر (مازال + يفعل) أو (لايزال + يفعل)[٩٦]:

تُستخدم صيغة (مازال يفعل) أو (لا يزال يفعل) للتعبير عن حدث وقع في الماضي، ومازال مستمرا في الوقت الحاضر:

- مازال الثور يتمارض.
- مازال السُّيَّاحُ وعلماء الآثار يهتمّون بالبتراء اهتماماً عظيماً.
- مازال سمير يدرس في مركز اللغات.
- مازالت وزارة الصحة تبذل جهدا طيّبا في مجال الصحة الوقائية ومجال الصحة العلاجية.

فالجملة الأولى تعني أن الثور تمارض أو ادعى المرض في لحظة زمنية ماضية، ولكنه استمر في ادعاء المرض منذ تلك اللحظة إلى زمن الحديث عن الفعل. وكذلك السياح وعلماء الآثار في الجملة الثانية، بدأ اهتمامهم بالبتراء في الماضي، ولكن ذلك الاهتمام ظل يستمر ويمتد حتى زمن الحديث عن الفعل. وهكذا. ولا يعني ذلك أن الفعل "الماضي المستمر في الحاضر" ينقطع في لحظة إنشاء الجملة وزمن التعبير عن الفعل، بل إنه يعني أنه يبقى مستمراً كذلك في وقت إنتاج الكلام المشتمل على صيغة (مازال يفعل).

٦- الماضي الشروعي (بدأ + يفعل) أو (أخذ + يفعل) أو (شرع + يفعل):

اقرأ الجملتين التاليتين:

- دخل الحمار على الثور، وأخذ يجري ويقفز.
- عندما انتهت المباراة، بدأ المشجعون ينزلون إلى أرض الملعب.

تُستخدم الصيغتان: (أخذ يفعل) و (بدأ يفعل) للتعبير عن شروع الحدث وبدايته في نقطة أو لحظة زمنية ماضية. ففي الجملة الأولى يعبّر الفعل المركب (أخذ يجري) عن بداية جَرْيِ الحمار في لحظة دخوله على الثور، أي أن الحمار "بدأ يجري" عندما دخل على الثور. ويقال الشيء ذاته في الجملة الثانية: إذ بدأت عملية نزول المشجعين إلى أرض الملعب في اللحظة التي انتهت فيها المباراة.

ويمكن أن تكون صيغ الماضي الشروعي على الشاكلة: (بدأ + بـ + المصدر) و (أخذ + بِـ + المصدر) و (شرع + بِـ + المصدر) [٩٧]. ولذا فإن بمُكْنَتِنا أن نقول:

- دخل الحمار على الثور، وأخذ بالجري والقفز.

- عندما انتهت المباراة، بدأ المشجعون بالنزول إلى أرض الملعب.

وقد عدَّ "المطلبي" النمط: (أخذ يفعل) وجها من أوجه "الحاضر"، وأطلق عليه "الحاضر الشروعي". ورفض التسمية التي ذكرها "تمام حسان"، وهي "الماضي الشروعي"، لأنها ــ عند "المطلبي"ـ تسمية تستند إلى شكل مورفيم (Morpheme) الشروع وليس إلى دلالته(٩٩).

وعلى غير عادته في كتابه، لم يتوصل "المطلبي" إلى تلك التسمية من واقع الاستعمال الفعلي للغة، كما هو مجسد في النصوص المختلفة، بل اتكأ على ما ورد في أقوال بعض النحاة. كقول "ابن عقيل" في **شرحه** لقول "ابن مالك" و"ترك أن مع ذي الشروع وجبا": "معنى قوله ... أن ما دل على الشروع في الفعل لا يجوز اقتران خبره بـ "أن" لما بينه وبين "أن" من المنافاة؛ **لأن المقصود به الحال**، و "أن" للاستقبال" (١٠٠). وفهم "المطلبي" مرجوح، ذاك أن الضمير في قول "ابن عقيل": "لأن المقصود به الحال" يرتد إلى ما يدخل عليه فعل الشروع أي خبره، ولا يعود إلى الفعل المركب الشروعي كله كما فهم "المطلبي". فخبر الفعل الشروعي، أي خبر (أخذ) مثلاً، هو الذي لا يجوز اقترانه بـ "أن"، لأن هناك منافاة بين "أن" بدلالتها على الاستقبال، والخبر الدال على الحال بمعزل عن (أخذ). فإذا قلنا: (أخذ يقرأ)، فإن الفعل الشروعي (أخذ) ـ على اصطلاح ابن عقيل ـ داخل على الفعل "المضارع" (يقرأ)، وهذا دال بدوره على الحال، ولا يجوز اقتران ما يدل على "الحال" ــ أي الفعل (يقرأ) ـ بـ (أن) الدالة على "الاستقبال"، فلا يقال: (* أخذ أن يقرأ).

ومن جهة أخرى فإن واقع بعض النصوص ينطق بل يقطع بمضي الأفعال المركبة الحاملة للسمة الدلالية "الشروع". تأمل ـ مثلاً ـ ما يلي:

- "فلما دنونا من المدينة أخذت أرتحل"(١٠١).
- "لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه"(١٠٢).

تجد أن الارتحال حَدَثٌ بدأ في لحظة من الماضي هي لحظة انتهاء الدُّنُوّ من المدينة، والشيء نفسه يقال في بناء الحائط، إذ ابتدأ في وقت ماضٍ هو وقت تمام سقوطه. وينبغي أن أشير إلى أمر هام جداً في هذا السياق، لعلَّ عدم معرفته هو المسؤول عن إنتاج الفهم الذي صدر عنه "المطلبي" حينما قال إن زمن الشروع هو الحاضر لا الماضي. فعندما نذهب إلى القول: إن الشروع في الحدث في صيغة (أخذ يفعل) ـ مثلاً ـ إنما هو في الماضي، فهذا يعني شيئاً واحداً هو أن بداية الحدث هي التي وقعت فقط في الماضي، أما الحدث نفسه فقد يمتد ليتصل بالحاضر. أي أن الفعل المركب الشروعي تُفصِح صيغته عن دلالة واحدة هي انطلاق الفعل وابتداء الحدَث، ولا تومئ إلى استمراره وانتهائه. فالدلالة

على استمرار الحدث وانتهائه موكولة إلى عناصر أخرى تنتمي إلى مقال النص أو مقامه. ولتوضيح هذه الفكرة أقول: (لقد زرت صديقي في الساعة السادسة مساء، وعندما رآني سلّم عليَّ وأخذ يتكلم بالهاتف). ففي هذا تحديد للحظة الزمنية الماضية التي بدأ فيها الصديق يتكلم بالهاتف، وهي لحظة رؤيتي والسلام عليَّ، دون إضافة دلالية أخرى، إذ ربما تكون مكالمته بالهاتف قد استغرقت فيما بعد خمس عشرة دقيقة ـ مثلاً، مما أغضبني وأجبرني على قطع الزيارة. وإذا افترضنا أن صديقاً ثالثاً قد زاره بعد خمس دقائق من وصولي، وقمت لأفتح الباب نظراً لانشغال الصديق الأول بالهاتف، فإنني سأقول للصديق الثالث: (عندما دَخَلْتُ إلى بيته أخذ يتكلّم بالهاتف). ولنلاحظ في هذه الجملة أن الفعل الشروعي (أخذ يتكلم) قد وُظِّفَ للدلالة على تعيين بداية الحدث في الماضي فقط، رغم أن الحدث (وهو التكلم بالهاتف) مازال واقعاً لحظة إنشاء الجملة المستخدَم فيها الفعل الشروعي.

وأعود لأقول: إن مما أدى بالمطلبي إلى القول بفكرة "الحاضر الشروعي" بدلاً من "الماضي الشروعي"، أنه لم يدرسها في نصوص عملية كما فعل مع صيغ زمنية أخرى، فقرر خطأ "خلو الاستعمال القرآني من مورفيمات الشروع خلواً تاماً"(١٠٣)، رغم أن بعض النحاة يورد شاهداً على استعمال الفعل الشروعي قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾(١٠٤). وهو قول وارد في سورتين:

- ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾(١٠٥).
- ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾(١٠٦).

وثمة سؤال ناهض هنا يتعلق بالسبب الذي من أجله استحدثت العربية صيغتين متوازيتين تحملان الدلالة نفسها وهي "الشروع في الماضي". فلم أوجدت العربية (بدأ + يفعل) و (بدأ + بـ + المصدر)؟ لِمَ لَمْ تقتصر على إحداهما؟ يغلب على ظنّي أن السبب راجع إلى ما قلناه في مبحث "الماضي البعيد". وهو عدم رغبة اللغة في تتالي فعلين، خاصة إذا كانا مشتركين في صيغة بنائية واحدة. فيبدو لي أن العربية لم تعد تحب الإكثار من المتواليتين: (فَعَلَ + فَعَلَ) و (يَفْعَلُ + يَفْعَلُ).

ولا شك أن هذا غير منطبق على الصيغة (بدأ + يفعل)، ذاك أن الصيغتين متضادتان في بنيتيهما: (فعل + يفعل). فلا ضير في أن تقول:

- ما إن رأى الطفل أمه حتى بدأ يبكي.

ولكنك إن قلت معبِّراً عن الشروع المتكرر على سبيل العادة:

- ما إن ير الطفل أمه حتى (يبدأ يبكي).

فإنه يتولد حينئذ المحظور التركيبي الموصوف سابقاً، أي المتوالية التركيبية: (فعل + يفعل). وقد أفضى هذا إلى أن تستعمل العربية صيغة تركيبية جديدة تفرّ بها من الإشكال المتولّد، بحيث تبقى

حاملة للبنية الدلالية ذاتها وهي "الشروع": (بدأ + بـ + المصدر).

وإنني لأرى أن التركيب (بدأ + بـ + المصدر) ـ المطابق للتركيب (بدأ + يفعل) ـ منقول عن تركيب آخر مساوٍ له في البنيه منحرف عنه في الدلالة. إنه منقول عن البنية ذاتها (بدأ + بـ + المصدر) المعبّرة عن أول حدث قام به المسند إليه ضمن مجموعة أحداث، كأن يقال: (بدأ الله بخلق الأرض، ثم خلق الجبال....). فالبدء هنا لا يدل على الشروع، وإن كان يمثل أصلاً له.

الماضي الشروعي والفعل (الممتدّ):

يجدر بالذكر أن الفعل المقترن بـ (بدأ) أو (أخذ) ـ الذي يكون في صيغة المضارع ـ لإنتاج الماضي الشروعي، يجب أن يكون ذا طبيعة "ممتدّة". وأقصد بالامتداد هنا قابلية الفعل للبدء ثم قابليته للدوام والاستمرار بعد البدء لحظات معيّنة. فالفعل الذي يحدث للحظة واحدة خاطفة لا يستطيع معها الإنسان ملاحظة بداية للفعل، لا يمكن أن يكون فعلاً ممتداً، ومن ثم لا يمكن أن يدخل في تكوين صيغة الماضي الشروعي. إذن، الفعل يستطيع أن يميّز له الإنسان نقطة بداية، ثم يعقب تلك البداية لحظات زمنية يمتد فيها، هو الفعل القابل وحده للدخول في صيغة (أخذ يفعل/ بدأ يفعل)، كأفعال الضحك والأكل والكتابة والقراءة والمشاهدة والجري ... إلخ.

أما فعل الجلوس ـ مثلاً ـ فإنه غير قابل للامتداد في بعض السياقات اللغوية، فإذا قلنا: (جلس الطفل) فإن الفعل (جَلَسَ) يفهم في مقابل الفعل (وَقَفَ)، فالطفل جلس من وقوف أو بعد وقوف، ولذلك فإن الانتقال من حال الوقوف إلى حال وضع المؤخرة على الكرسي ـ مثلاً ـ نسمّيه جلوساً. وهذا لا يحتاج إلى بداية وامتداد. وعليه، فلا يمكن القول: (بدأ الطفل يجلس) إذا كان جلوسه جلوساً من وقوف. أما إذا كان المقصود بالجلوس بداية تعلم الطفل الصغير لهذه المهارة مع حفظ توازنه دون أن يقع على أحد جنبيه، فإن الجملة ذاتها: (بدأ الطفل يجلس) تنقلب جملة مقبولة دلاليّاً.

٧- الماضي المقارب[١٠٧] (كاد + يفعل):

تدل صيغة (كاد يفعل) على أن الفعل اقترب كثيراً من الحدوث عند نقطة زمنية معينة في الماضي، إلا أنه مع ذلك لم يقع. ويمكن استجلاء الأمر أكثر بضرب المثال الموالي:

- "لقد قضيت اليوم كله في العمل والتعب حتى إنني كدت أموت".

فالثور لم يمت، لأنه هو المتكلم هاهنا. ولكنه قرب من الموت كثيراً بسبب ما قام به من عمل شاق في الحقل. يفهم من هذا أن فعل الموت في الجملة غير متحقق، غير أنه اقترب (في الماضي) من الوقوع: (كاد يقع أو كاد يحدث).

٨- **المستقبل المحكي في الماضي[١٠٨] (كان + سيفعل) Future in the Past :**

يمكن لنا أن نعرّفه بأنه الماضي الذي كان الشخص ينوي القيام به ولم يفعل، أو أنه الماضي الذي كان من المتوقع وقوعه ولم يقع.

وقد علّق "ابن جنّي" على جملة: (كان زيد سيقوم أمس) بالقول[١٠٩]:

"أي كان متوقعاً منه القيام فيما مضى".

ويُستخدم هذا الوجه من أوجه الماضي بدلالة تقرب من دلالة: (كاد يفعل). بل إن "هناك توافقاً دلالياً بين مركب "كان سيفعل" و "كاد سيفعل"، وهو عدم تحقق الحدث، على الرغم من ملحظ مقاربة وقوع الحدث، الذي يَسِمُ المركب الثاني دون الأول"[١١٠].

وبعد استعراض أوجه الزمن الماضي، يمكن تعزيزها في أفهام الطلاب بوساطة مجموعة من التدريبات المقترحة، وهي كما يلي:

التدريب الأول: بين أوجه الماضي في الجمل التالية:

١- كانت تلك المكتبة تفتح أبوابها حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً.

٢- مازلنا نقيم في هذا البيت.

٣- ظلت آراء ابن سينا تدرس في الجامعات الغربية حتى وقت قريب.

٤- لما طلب مني صديقي مرافقته في السفر أخذت أفكر في الأمر جيّداً.

٥- كانت أسماء الناجحين في الثانوية العامة تعلن عن طريق المذياع.

٦- قابلت صديقي موسى في المكتبة أمس. وكنت قد تعرفت عليه في نفس المكان العام الماضي.

٧- هل رأيت بسّام اليوم؟ - قد رأيته في مكتب المدير.

٨- مازال زوج أختي يبحث عن شقة جديدة.

٩- سافرت إلى القاهرة طلبا للراحة، وهناك بدأت أنسى ما حدث.

١٠- ماذا كانت لَيْلَى تفعل قبل الظهر؟ - كانت تكتب رسالة إلى أختها.

التدريب الثاني: أكمل الجمل التالية بعبارات مناسبة، مسترشدا بالصيغة الموضوعة بين القوسين:

١- كان الأستاذ طارق .....(كان يفعل)

٢- سوف يذيع الراديو في الساعة السابعة هذه الليلة خطاب الرئيس الذي ألقاه فور عودته من إحدى الدول العربية، و .... (كان قد فعل)

٣- دعوتُ ذلك الموظف واثنين من أصدقائه لزيارتي في بيتي مساء الأحد القادم، و ..... (قد فعل)

٤- مازال التلفزيون ..... (مازال يفعل)

٥- زار أبي وأمي ليبيا، وهما الآن في الجزائر. و ..... (كان قد فعل)

٦- ظلت وكالة أنباء الشرق الأوسط ..... (ظل يفعل)

٧- قرأت هذا الكتاب خلال ثلاثة أيام. و ..... (كان قد فعل)

٨- زرته في المستشفى، وكانت حاله سيئة، وعندما رآني ..... (أخذ يفعل)

٩- مازال صديقي حسن ..... (مازال يفعل)

١٠- ظللتُ ..... (ظل يفعل)

التدريب الثالث: استخدم الشكل المناسب لصيغة (مازال يفعل) فيما يلي مع تغيير ما يلزم، كما في المثال التالي:

(مازال نحن) (التجول) في السوق إلى الآن.

مازلنا نتجول في السوق إلى الآن.

١- مازال التلفزيون (إذاعة) أسماء الوزراء الجدد في الحكومة.

٢- (مازال) الحكومة الأردنية (البحث) عن كل الطرق التي تسد حاجة المملكة من المياه.

٣- (مازال) المرأة الأردنية (السعي) لتأخذ دورا متميّزا في المجتمع.

٤- (مازال أنا) (تدريس) اللغة العربية في مركز اللغات في جامعة اليرموك.

٥- (مازال نحن) (السكن) في ذلك الحي الصغير.

٦- (مازال هما) (مقابلة) عمر مساء الخميس من كل أسبوع.

٧- (مازال أنت) (تكلم) العربية بشكل جيّد.

٨- هؤلاء الطالبات (مازال) (الدراسة) في جامعة آل البيت.

٩- أبي و أمي (مازال) (زيارتي) في السكن.

١٠- هؤلاء الأولاد (مازال) (لعب) كرة القدم في الشارع.

التدريب الرابع: حول الصيغة التي بين القوسين في الجملة التالية إلى صيغة (أخذ يفعل) مرة، وصيغة (بدأ يفعل) مرة أخرى كما في المثال:

عندما وصلت إلى البيت (قرأت) دروسي.

عندما وصلت إلى البيت أخذت أقرأ دروسي.

عندما وصلت إلى البيت بدأت أقرأ دروسي.

١- ذهبت إلى الطبيب (فسألني) مجموعة كبيرة من الأسئلة.

٢- لما طلب مني صديقي أمين مرافقته في السفر، (فكرت) في الأمر جديا.

٣- حينما كان المريض يشرب الدواء، (تقيّأ) ما في بطنه.

٤- عندما علمت سَلْوَى بالأمر (غيّرت) بعض أفكارها.

٥- (اهتمت) جامعتنا منذ أن تأسست بالحوار والتسامح بين الأديان المختلفة.

٦- حينما خرجت أمي من البيت، (بكى) أخي الصغير بكاء شديدا.

٧- متى (درست) اللغة العربية في الأردن؟ (درستها) قبل سنتين ونصف.

٨- بعد أن غادرتُ بيت أختي (سقط) المطر بغزارة.

٩- عندما دخل الفلاح (تألم) الثور.

١٠- متى (لعبتم) كرة القدم في هذا النادي؟ (لعبنا) كرة القدم في هذا النادي منذ سنة ١٩٨٤م.

التدريب الخامس: استخدم صيغة (كاد يفعل) في المواقف التالية، مستعينا بما بين القوسين فيما يلي:

١- نزل المطر غزيرا، وارتفع منسوب المياه في مزرعتي حتى أيقنت أن أشجاري ستغرق، ولكن الله سلَّم. فأقول عن حال المياه مع مزرعتي: (المياه الغزيرة ـ مزرعتي).

٢- كانت السيارة الحمراء مسرعة جداً، فانعطفت فجأة إلى اليمين. فظننا أنها انقلبت، لكنها ـ بحمد الله ـ لم تنقلب. فنقول: (السيارة الحمراء ـ الانقلاب).

٣- قررت تلك الدولة الآسيوية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إحدى جاراتها. ولكنها عدلت عن ذلك القرار بعد وساطة أوروبية. (تلك الدولة الآسيوية ـ إحدى جاراتها).

٤- تركت بستاني وسافرت دون أن أجد من يعتني به، ولما عدت وجدت الأشجار فيه على وشك الذبول، لكنني سرعان ما سقيتها الماء فلم تمت. فأصف حال الأشجار عند عودتي من السفر: (الأشجار في البستان ـ الموت).

٥- قرر مدير الشركة فصل هذا الموظف من العمل، وأثناء كتابة قرار الفصل استطاع مساعد المدير إقناع المدير بأن لا يفعل ذلك، فلم يفعل المدير. فنقول: (مدير الشركة ـ هذا الموظف).

التدريب السادس: أعد كتابة كل زوج من الجمل التالية، مستخدماً صيغة (كان +قد فعل)، في موضعها الصحيح، مع تغيير ما يلزم وحذْف المكرر، كما في المثال:

أ) وصل أمير دولة قطر في الساعة الثامنة من مساء أمس.

ب) استقبل جلالة الملك أمير دولة قطر أمس.

استقبل جلالة الملك أمير دولة قطر أمس. وكان الأمير قد وصل في الساعة الثامنة من مساء أمس.

١-أ) ذهب السيد خالد إلى الولايات المتحدة في زيارة خاصة.

ب) سيعود السيد خالد مدير الشركة من الولايات المتحدة بعد غد.

٢-أ) وصلت أنا وصديقي طارق إلى عمان يوم الأربعاء الماضي.

ب) استقبلنا في المطار صديقنا كامل.

٣-أ) صرح وزير خارجية المغرب عند عودته إلى بلاده بأن المحادثات التي أجراها مع المسؤولين في تلك الدولة الغربية كانت ناجحة.

ب) قبل وزير الخارجية المغربي دعوة وجهها إليه وزير الخارجية في تلك الدولة الغربية لتبادل الآراء حول بعض الموضوعات.

٤-أ) عدت من بغداد مساء أمس.

ب) حضرت مؤتمر الأساتذة الجامعيين الذي انعقد في بغداد.

٥-أ) دخل صديقي إلى المستشفى بسبب كسر في يده.

ب) زرت صديقي في المستشفى.

٦-أ) احتجَّتْ تلك الدولة أمس على تصريحات الرئيس الروسي.

ب) صرح الرئيس الروسي بأن تلك الدولة تتدخل في الشؤون الداخلية لروسيا.

٧-أ) كُسِرَ مُسَجَّلي أمس.

ب) اشتريت ذلك المسجّل بسبعين دينارا.

٨-أ) حصلت على ثمانين درجة في مادة الحاسوب.

ب) ظهرت العلامات النهائية لمادة الحاسوب يوم الإثنين الماضي.

٩-أ) اتهم مسؤولون أميريكيون تلك الدولة بتصنيع الأسلحة النووية.

ب) رفض رئيس تلك الدولة الاتهامات الموجهة لدولته.

١٠-أ) انتهيتُ اليوم من كتابة البحث.

ب) بدأتُ كتابة البحث قبل ثلاثة أسابيع.

التدريب السابع: حوّل الجمل التالية إلى الماضي المستمر باستخدام (ظل + يفعل) كما في المثال:

استمر الأساتذة في شرح الدرس حتى الساعة الثانية والربع.

ظل الأساتذة يشرحون الدرس حتى الساعة الثانية والربع.

الأساتذة ظلوا يشرحون الدرس حتى الساعة الثانية والربع.

١- استمر الطفل في الجلوس فوق الشجرة حتى الساعة الخامسة مساء.

٢- استمر التلاميذ في الاحتفال بعيد الفطر حتىٰ الساعة الخامسة مساء.

٣- استمرت أختي في قراءة القصة إلى أن فرَغتْ منها.

٤- استمر اقتصاد ماليزيا في التطور بسرعة مذهلة حتى دخلت عصر الاقتصاد الذهبي.

٥- استمر إخوتي في مشاهدة المباراة إلى وقت متأخر من مساء أمس.

٦- استمر الخطيب في الخطبة ساعة كاملة.

٧- استمر مدير المركز في التحدث مع الطالبين إلى وقت الغداء.

٨- استمرت أمي في صنع الغداء حتى أذَّنَ العصر.

٩- استمر رئيس الوزراء في إلقاء البيان حتى الساعة الثانية عشرة ليلا.

١٠- استمر الأولاد في اللعب في الشارع.

التدريب الثامن: أكمل الجمل التالية مستفيدا مما بين القوسين، ومستخدما صيغة (كـان + يفعـل) بالشكل الصحيح كما في المثال:

عندما (أنا ـ الاستماع إلى المحاضرة) دخل رئيس الجامعة إلى القاعة.

عندما كنت أستمع إلى المحاضرة دخل رئيس الجامعة إلى القاعة.

١- عندما (أنا ـ قيادة السيارة بسرعة) أوقفني الشرطي وطلب مني رخصة القيادة.

٢- فقد أبي محفظته حينما (هو ـ شراء الفواكه من السوق).

٣- أطلق العدو النار على الجنود عندما (هم ـ قطع النهر).

٤- بينما (أنا ـ كتابة المقال) رن جرس الهاتف.

٥- عندما (هي ـ لعب التنس) سقطت وكسرت ذراعها.

٦- قابلت الأصدقاء عندما (أنا ـ السير في حديقة الحيوانات).

٧- قُطِعَتْ إصبعه عندما (هو ـ محاولة إصلاح الباب).

٨- سقطت كتبي عندما (أنا ـ الجري خلف الحافلة).

٩- عندما دخلت إلى المسجد (الإمام ـ قراءة سورة العلق).

١٠- لقد دوّنتُ بعض الملاحظات الهامة عندما (الأستاذ المحاضر ـ إلقاء محاضرته).

التدريب التاسع: أنشئ جملا تامة باستخدام وجه الماضي المناسب لجملة الموقف في كـل ممـا يلـي، مع تغيير ما يلزم:

١- أثناء قيامي بشراء الملابس وجدت طفلا ضائعا يبكي.

٢- وَدَّعْنا اليوم أخي الذي سيسافر إلى الكويت. وقبل ذلك، حضر أخي إلى الأردن قبل أسبوعين.

٣- بحثت الحكومة الأردنية عن كل الطرق التي تسد حاجة المملكة من المياه. وحتى الآن، هـي تبحث عن تلك الطرق.

٤- استمرت أختي في صناعة الكعك إلى الساعة التاسعة مساء.

٥- بدأ التلفزيون الأردني يذيع أسماء الوزراء الجدد في الحكومة السـاعة الثامنـة. وحتـى الآن، هو يذيع تلك الأسماء.

التدريب العاشر: أعد كتابة النص التالي مستبدلاً بما بين القوسين الصيغة المناسبة ممـا يلـي: كـان يفعل، بدأ يفعل، ظل يفعل، كان قد فعل، مازال يفعل.

(لعب) "راشد حسـن" كـرة القـدم في النـادي العربـي. (بـدأ بـاللعب) في هـذا النـادي سـنة

١٩٨١م. و (استمر في اللعب) فيه إلى أن أصيب بكسر في ساقه اليمْنى. و (أثناء لعبه) فيه سجل ٨٣ هدفا. (وقبل ذلك لعب) في نادي الحسين. (بدأ باللعب) فيه سنة ١٩٧٥م. و (استمر في اللعب) فيه حتى سنة ١٩٨٠م. (أحَبَّ) "راشد حسن" كرة القدم، وهو (حتى الآن يحبها) أيضاً.

التدريب الحادي عشر:

١- لخِّص نص (الحمار الذكي) شفويا، ثم لخّصه كتابيا. مراعياً استخدام الأوجه المختلفة للزمن الماضي عند الكتابة.

٢- اكتب قصة مماثلة لقصة (الحمار الذكي) مستخدماً الأوجه المختلفة للزمن الماضي حيثما كان ذلك مناسباً.

٣- اكتب وصفاً لمراحل تعلّمك اللغة العربية منذ بدأت في بلدك مرورا بمراحل تعلّمك لها في جامعة اليرموك، مستخدما بعض أوجه الزمن الماضي كما تعلمتها.

هوامش

١- كما أفادتنا بذلك تجربتنا في التدريس في مراكز اللغات في الجامعات الأردنية التالية: الجامعة الأردنية، عمان، وجامعة آل البيت، المفرق، وجامعة اليرموك، إربد.

٢- قمت بالتصرف في هذه النماذج المعروضة هنا عن طريق تصحيح ما لا يعنينا من أخطاء، ليتسنى لنا التركيز على المشكلة موضع الدرس.

٣- قدمت للطلاب في الكتابات من (أ ـ هـ) الصورة (١) ـ انظر الملحق، وطلبت منهم كتابتها كما لو كانت حدثت في الماضي. وطلبت الشيء نفسه في الكتابات التالية مع صور أخرى ـ انظر الملحق تباعا ـ.

٤- في موضوع الكتابات من (و ـ ك) انظر الصورة (٢) في الملحق.

٥- يقصد: قفزت من فوق الحبل.

٦- في موضوع (ل ـ م) انظر الصورة (٣) في الملحق.

٧- يقصد: صحنا.

٨- انظر الصورة (٤) في الملحق.

٩- انظر: السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٣٠/١، ولا أشك في أن هذا الرائز "الشكلي" غير كاف. إذ قد يتخلف في مثل: (يبس، يَسَرَ، يَنَعَ، تَعِبَ، تَأْتَأَ، تابَ، نَشَدَ، ناوَلَ، نَبَع، أُخِذَ، أُرْغِمَ، أَنْشَدَ). ولذلك

فإن هذا الرائز قد يكون ـ إن اكتُفي به ـ سببا لخلط يظهر لدى بعض متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، هو الخلط الواقع بين صيغ الفعل الدال على الحاضر، وبعض صيغ الماضي المبدوءة بـ (يـ ، تـ ، نـ، أ).

١٠- لا يُفْهمُ من كلامي هذا أنْ لا أوجه للزمنين الحاضر والمستقبل في العربية، بل إنني أرمي لأبيّن أن الحاجة العملية لهذه الأوجه في ذينك الزمنين أمرٌ يندر استدعاؤه. وقد اضطلعتْ بعض المراجع التي اعتمد عليها هذا البحث بمسؤولية تبيان الأوجه المختلفة للأزمنة الثلاثة.

١١- يجري الحديث هاهنا عن الفعل باعتبار الزمن: (الماضي، الحاضر، المستقبل). ويمكن الحديث عن الفعل باعتبار آخر تقسّم الأفعال في ضوئه إلى خبرية وإنشائية، وعندها نستطيع بحث موضوع فعل الأمر، على الرغم من أن بعض الدارسين قد يعدّه فعل استقبال بالنظر إلى أنه إن تم فإنه لا يتم إلا في المستقبل قريبا كان أو بعيدا. وعلى أي حال، فإن فعل الأمر يُشتق من الفعل الحاضر بطريقة آلية سهلة مقننة، عن طريق حذف صدر الفعل الحاضر (ما سمي بحرف المضارعة)، والنظر إلى الصوت الأول بعد الحذف. فإن كان صامتا متحركا (متلوا بحركة) كان الناتج فعل الأمر دون تعديل (يتساهل ـ تساهل)، وإن كان صامتا غير متحرك (متلوا بصامت آخر) أضيفت الهمزة المكسورة في صدر الفعل: (يسْأل ـ سْأَلْ ـــ إسْـأَلْ)، (يضْرب ـــ ضْرب ـ اضْرب). وإن تلا عين الفعل الحاضر ضمةٌ كانت الهمزة المضافة مضمومة: (يقْتُل ـ قْتُل ـ اُقْتُل).

١٢- قد يكون من المفيد هاهنا أن أذكر أنني قمت يوما بتدريس "أوجه الماضي" في العربية لمجموعة من طلاب جنوب شرق آسيا (ماليزيا وإندونيسيا والفلبين). وعندما سألتهم عن وجود هذه "الأوجه" في لغاتهم أكّدوا لي جميعاً بصوت واحد خلوّها منها. فطلبت من أفضلهم أن يتروّى ويفحص الأمر ملياً، وأن لا يحكم بعدم وجود تلك الأوجه في لغته لكونه لم يدرسها في المدرسة. فما كان إلا أن جاءني الطلاب في اليوم التالي ضاحكين مؤكدين لي وجودها في لغاتهم.

١٣- ترجم (تمام حسان) هذا المصطلح بـ "جهات الفعل" (انظر: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٢٤٥-٢٤٦). بينما نجد (محمد علي الخولي) قد ترجمه بـ "الصيغة والوجهة" (انظر: **معجم علم اللغة النظري**: إنكليزي ـــ عربي، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، مادة "Aspect"). إن اعتماد "جهات الفعل" ترجمة للمصطلح "Aspect" يثير إشكالية مفادها أن الذهن ـــ عند قراءة مصطلح "الجهات" أو سماعه ـ ينصرف سريعاً إلى الجهة المكانية، وواضح أن المقصود من المصطلح "Aspect " شيء لا علاقة له بالاتجاه أو المكان. وليس غريباً أن يعتمد "مالك يوسف المطلبي" مصطلح "تمام حسان" الذي هو "الجهات" [انظر: مالك يوسف المطلبي، **الزمن واللغة**: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ١٧ و ٩٧]، ذلك أنه يرى أن للزمن اللغوي ـ كالزمن الفلكي ـ أبعاداً مكانية من قرب واستمرار وانقطاع ...!! [انظر: المطلبي، المرجع السابق، ص ١٢]. ويمكن أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لـ "الوجهة". أما فيما يتعلق باعتماد "الصيغة" ترجمة للمصطلح "Aspect" فإنه لا يمكننا اعتماد هذه الترجمة أيضاً، بسبب أن "Aspect" يدل على هيئة حدوث الفعل أو كيفيته أو طريقته، في الوقت الذي تخلو فيه كلمة "الصيغة" من أي دلالة على الهيئة أو الكيفية أو الطريقة التي يحدث بها الفعل. بل إن المرء ليشعر أن "الصيغة" مصطلح شكلي يقف عند حد الدلالة على الشكل الصرفي البنائي للكلمة (الفعل

هنا) دون إفادة أي شيء آخر. أما إذا قلنا "أوجه الفعل الماضي" فإنه ليس ثمة محظور يمكن أن ينصرف إليه الذهن، فضلا عن أن كلمة الوجه (مفرد "الأوجه") تعني ـ فيما تعنيه في العربية ـ: السبيل أو الطريقة. جاء في **لسان العرب**: "وجه الكلام: السبيل الذي تقصده به "أي طريقة تأديتك إياه [ابن منظور، **لسان العرب**: ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، (وجه)]". (قارن: منير البعلبكي، **المورد**، قاموس إنكليزي ـ عربي، مادة Aspect). ولعل ترجمة "عبد الرحمن أيوب" أصلح الترجمات لولا أنها تنطوي على محذور هو الطول: "كيفية الحدوث". (انظر: عبد الرحمن محمد أيوب، **دراسات نقدية في النحو العربي**: مؤسسة الصبّاح، الكويت، دون تاريخ والطبع، ص ١٨٢).

١٤- ريمون طحان، **الألسنية العربية**: الألسنية ١، ص ١٥٢.

١٥- انظر السابق: ص ١٥١، وانظر: عبدالرحمن محمد أيوب، المرجع السابق: ص ١٨٢.

١٦- انظر: أحمد المتوكل، **الجملة المركبة في اللغة العربية**، ط ١، منشورات عكاظ، تقديم المؤلف في الرباط، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٥.

١٧- انظر: محمد زكي عبد الرحمن، **أثر اللغة العربية في اللغة الماليزية من الناحية الدلالية**: رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، إشراف: الأستاذ عبد الغفار حامد هلال، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٤٧-٣٤٩، ولم يذكر الباحث من أوجه الماضي غير صيغتين هما: أكل (telah makan) ومازال يأكل (masih makan).

١٨- انظر: غسان الصيني لي تشوان تيان، **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الصين الوطنية** (تايوان)، الواقع والتطلعات، ندوة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في دول مجلس التعاون، جامعة البحرين، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠.

١٩- أرى أن اللوم يقع في هذه المشكلة على الكتاب وحده، إذ إن التفريق بين الأوجه المختلفة للزمن الماضي، لم يحظ ـ في حدود ما اطلعت عليه ـ باهتمام واضعي كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها.

٢٠- تشير النجمة * الموضوعة قبل التركيب إلى أنه مما ترفضه العربية Ungrammatical.

٢١- يقصد: أخذ يدعو.

٢٢- يقصد: كان يحبّ.

٢٣- في موضوع الكتابات: (١٤-٢٧) انظر الصورة (٥) في الملحق. والجملة (١٤) وردت في بداية نص الطالب.

٢٤- يقصد: كان رجلان يجلسان في الحديقة.

٢٥- بدأ الرجل يفكر في هذه المشكلة.

٢٦- يقصد: (كان يقرأ).

٢٧- لا أستبعد أن يكون مثل هذا النمط مسموحا به في لغة الطالب الأم "المالوية".

٢٨- أستخدم كلمة (الصيغة) أحيانا في سياق الحديث عن البناء الشكلي للفعل.

٢٩- أقصدُ بالسلف علماء العربية الأوائل.

٣٠- انظر في هذا: مالك يوسف المطلبي، المرجع السابق، ص ٩١-٩٩.

٣١- نقلت مصطلحي "النحو العملي" و "النحو العلمي" عن "حسن عون" ـ انظر: حسن عون، **دراسات في اللغة والنحو العربي**، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م، ص ٤٥-٤٦.

٣٢- أشار "العقّاد" إلى هذه التهمة حينما قال: "أما النقص المعيب حقاً فهو نقص الأصول والقواعد الأساسية في تكوين اللغة. ومن قبيله ما نسب إلى لغتنا من نقص الدلالة على الزمن في صوره المختلفة، وإنه لنقص خطير لو صحت نسبته إليها، ولكنه بحمد الله غير صحيح". ـ انظر: عباس محمود العقاد، **الزمن في اللغة العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد ١٤، ١٩٦٢م، ص ٤٤.

٣٣- من الدارسين العرب من ذهب إلى أن "صيغة الماضي في القواعد الفرنسية تتخذ أشكالاً متعددة، في حين إنها في العربية تتخذ نمطاً واحداً"! انظر: محمود السيد، **في قضايا اللغة التربوية**، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ، ص ٤٧.

٣٤- مالك يوسف المطلبي، المرجع السابق، ص ٩٢.

٣٥- كذا بالأصل.

٣٦- برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه، رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٨٩-٩٠.

٣٧- مالك يوسف المطلبي، المرجع السابق، ص ٨٧.

٣٨- انظر في إثبات هذه المقولة: عمر يوسف عكاشة، **نظم العربية: نحو توصيف جديد في مقتضى تعليم العربية للناطقين بغيرها**، رسالة دكتوراه: إشراف: نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، أيار، ٢٠٠١م، ص ٨ -٦٦.

٣٩- نهاد الموسى، **اللغة العربية وأبناؤها: أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية**، ص ٦١.

٤٠- عمر يوسف عكاشة، نظم العربية: **نحو توصيف جديد في مقتضى تعليم العربية للناطقين بغيرها**، ص ٥٧.

٤١- ينبغي أن أنبه إلى أن البحث الحالي يختلف عن البحوث السابقة من عدة جوانب، لعل أبرزها جانبان، الأول أن الدارسين السابقين كتمّام حسان وإبراهيم السامرائي وعلي المنصوري ومالك المطلبي، قد درسوا مسألة الزمن في العربية بشكل عام، بينما آثرتُ أنا التركيز على مشكلة الزمن الماضي حسب، ذلك أن التجربة العملية في تعليم العربية تنبئنا بأن الحاجة النفعية إلى توظيف الزمنين الحاضر والمستقبل بأوجههما المتعددة، أقل بكثير من الحاجة إلى توظيف الأوجه المختلفة للزمن الماضي، وهذا صحيح على الأقل من جهة تعليم العربية للناطقين بغيرها. وأما الجانب الثاني الذي يجعل هذا البحث مختلفاً عن سابقيه، فهو أن واقع تعليم العربية للناطقين بغيرها ـ بما فيه من مشكلات كثيرة مركبة ـ لم يكن المحرّك والمنطلق للبحوث السابقة. أستثني من هذا دراسة "كمال بدري" الذي قابل نظام الزمن بين العربية والإنجليزية، وتكلم عن بعض الصعوبات التي (قد تواجه) الطلاب في إنتاج بعض الصيغ الزمنية وتمييزها إلا أنه لم يَذْكُرْ مثالاً واحداً على الأخطاء التي يجترحها المتعلمون في هذا المجال.

٤٢- من الضروري أن ألفت نظر القارئ إلى أن هذا البحث لا يخاطب متعلمي العربية من الناطقين بغيرها على نحو مباشر، بل إنه موجّه للباحثين المشتغلين بالنظرية اللسانية، والمهتمين باللسانيات التربوية. فالقائمون على تأليف كتب تعليم العربية، هم المعنيون بالاطلاع على محتويات هذا البحث، ومحاولة الاستفادة منه، بحيث يجعلون مادته الأساسية جاهزة التقديم لمتعلمي العربية. وهذا مُستتبع القول: ليس كلّ ما في البحث صالحاً للتقديم على حاله للمتعلمين من الناطقين بغير العربية.

٤٣- بتصرف من: لجنة من وزارة المعارف ـ حكومة قطر، **القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي**: راجعه: داود حمدان، بإشراف: عبد العزيز مانع و عز الدين إبراهيم، ط ٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ١٤٤-١٤٧.

٤٤- استخدم صيغة (فعل) لأدلّ بها على الماضي، من أي وزن كان، فهي عندي رمز للمضيّ وكفى.

٤٥- يترجم بعض الباحثين (Simple past) بالماضي البسيط، كتمام حسان الذي يذهب إلى أن "البساطة" تعني عدم الوجه Aspect، أو الخلو من الوجه، فيكون معنى الوجه عدمياً. انظر: تمام حسان: المرجع السابق، ص ٢٤٥. وانظر: كمال بدري: **نظام الزمن في اللغتين العربية والإنجليزية في ضوء التقابل اللغوي**: ص ١٦٢. غير أن مصطلح "الماضي البسيط" لا علاقة له ـ في الحقيقة ـ بالزمن . انظر: مالك المطلبي، المرجع السابق، ص ١٠٧، ولا يتوقف عند حدّ كونه غير دال على الزمن، بل ينضاف إليه أن "البساطة" في لغة كالإنجليزية تعني أن صيغة الفعل خالية من السوابق واللواحق [انظر: حامد عبد القادر، **معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم**: مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد ١٠، ١٩٥٨م، ص ٦٥- ٧٢. وأما "المطلبي" فيبدو ـ من الجدول المثبت آخر كتابه ـ أنه يعتمد "الماضي غير المحدد" ترجمة للمصطلح. انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٧.

٤٦- غريبٌ أن يذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على "عدم وجود مقابل في اللغة العربية لصيغة الفعل الإنجليزي (have done) أو ما يسمي (Present Perfect Tense)". نايف خرما وعلي حجاج، **اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلّمها**، سلسلة عالم المعرفة ١٢٦، الكويت شوال ١٤٠٨هـ، ص ١٠٥.

٤٧- ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: حقّقه وعلّق عليه: مازن المبارك و محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٢٨، وانظر: الرماني، **معاني الحروف**: تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩٨.

٤٨- انظر ـ مثلاً ـ: كمال بدري، **نظام الزمن في اللغتين العربية والإنجليزية في ضوء التقابل اللغوي**: ص ١٦٠ و ١٦٤، وانظر: علي جابر المنصوري، **الدلالة الزمنية في الجملة العربية**: ص ٦٢.

٤٩- كمال بدري، **نظام الزمن في اللغتين العربية والإنجليزية**: ص ١٨٣.

٥٠- سورة المجادلة، الآية: ١.

٥١- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: دار الخير، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٣٣٦/٤.

٥٢- يبدو أن السلف متفقون على أن "قد" تفيد "التحقيق" مع الماضي. انظر ـ مثلاً ـ: المرادي، الحسن بن قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**: تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥٥، وانظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٣١. والذي أظنه أن "التحقيق" هو "التوكيد" عينه، بيد أنهم عدلوا عن القول بتوكيدية (قد)، لأن التوكيد خاص عندهم بالجملة الاسمية، وللتوكيد أدواته المشهورة كـ (إنّ) و (أنّ). والطريف أن (مصطفى الغلاييني) جمع (إنّ وأن ولام الابتداء ونوني التوكيد ولام جواب القسم وقد) تحت مسمى (أحرف التوكيد). انظر: **جامع الدروس العربية**، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩١م، ٢٦٤/٣. وقد يكون ثمة سبب آخر حملهم على اختيار (التحقيق) مصطلحاً دالاً على أحد استعمالات (قد)، وهو أن (قد) إذا لزمت الماضي كان الماضي معها متحقق الحدوث إنْ على الصعيد الواقعي أو النفسي.

٥٣- وآية ذلك أنني قمت بعرض بعد استخدامات الطلاب على مسامع بعض الناطقين بالعربية، فلم يستسيغوا تلك الاستخدامات. وعندما سألتهم عن سبب عدم استساغتهم لها قالوا: ("قد" هنا ليست صحيحة).

٥٤- داؤد عبده، **البنية الداخلية للجملة "الفعلية" في العربية**: مجلة الأبحاث ـ الجامعة الأمريكية، عدد خاص، اللغة والحضارة العربيتان، حرّره، رمزي بعلبكي، السنة ٣١، ١٩٨٣م، ص ٤٨. بيد أن "داؤد عبده" يرى في الموطن نفسه أن "قد" أداة ربط، وهو الأمر الذي لا يتفق مع وجهة نظري التي أطرحها ههنا.

٥٥- معنى كون الماضي متوقَّعاً بعد (قد) أن "الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعا، لا أنه الآن متوقع... وعبارة ابن مالك في ذلك حسنة، فإنه قال: إنها تدخل على ماض متوقع، ولم يقل إنها تفيد التوقع" ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٥٦- سيبويه، **الكتاب**: تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٢٢٣/٤، وانظر: ١١٥/٣.

٥٧- السابق، ١١٤/٣.

٥٨- انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٥٩- ابن منظور، المرجع السابق، (درج)، وانظر من الباحثين المحدثين، علي جابر المنصوري، **الدلالة الزمنية في الجملة العربية**، ص ٥٦.

٦٠- المرادي الحسن بن قاسم، المرجع السابق، ص ٢٥٦، وانظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٦١- ابن يعيش، **شرح المفصل**، ١٤٧/٨، وانظر: المرادي، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

٦٢- المرادي، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

٦٣- انظر: الرماني، المرجع السابق، ص ٩٨.

٦٤- انظر: المرجع السابق، نفسه.

٦٥- انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٢٩، وانظر: عصام نور الدين، **الفعل والزمن**، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٦٤.

٦٦- سورة الشعراء، الآية: ١١١.

٦٧- انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٢٩.

٦٨- سورة يوسف، الآية: ٩١.

٦٩- انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

٧٠- أقول (معظم) لأنني أستثني الكتاب التالي ـ مثلاً ـ انظر:

Peter F. Abboud and others, **Elementary Modern Standard Arabic**, Cambridge University Press, 1983, P. 466-467.

٧١- انظر مثالاً على ذلك: محمود إسماعيل صيني وإبراهيم يوسف السيد ومحمد رفاعي الشيخ، **القواعد العربية الميسّرة** (ثلاثة أجزاء)، سلسلة في تعليم النحو العربي لغير العرب، ط ٢، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٧٢- انظر مثلاً: كرستن بروستاد ومحمود البطل وعباس التونسي، **الكتاب في تعليم العربية**، طبعة: Washington D.C., Georgetown University Press, 1995. ١/٣٣٤، وانظر: ف. عبد الرحيم، **دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها**: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ، ٣/١٦٨.

٧٣- وضعت إشارة الجمع (+) لأدل بها على جمع العناصر اللغوية جمعاً يشبه الجمع الرياضي الحسابي ــ إن صح التعبير ـ لا الجمع المكاني الموقعي. فإذا قلنا: (١+٦) فإن الحال لا تكون بجمع العنصرين الرياضيين جمعاً مكانياً موقعاً: (٦١) أو (١٦). وكذا الأمر بالنسبة للعناصر اللغوية في الصيغ المذكورة في البحث، فإذا قلنا: (كان قد فعل) دون وضع إشارة الجمع، فإن الطالب قد يظن اقتران العناصر وتتابعها على هذا النحو دائماً، وهذا غير صحيح، إذ قد يُفْصلُ بين (كان) من جهة و (قد فعل) من جهة أخرى بالاسم كما هو مبيّن في الأمثلة المذكورة في المتن، أو بالضمير الذي قد يتصل بـ (كان) في مثل: (ذهب الطلاب إلى "جرش" و "أم قيس"، وكانوا قد ذهبوا إلى "البتراء" في الأسبوع الماضي).

٧٤- ما يقال بشأن (كان قد فعل) يقال بشأن (كان فعل) و (قد كان فعل).

٧٥- انظر: حامد عبد القادر، المرجع السابق، ص ٦٥.

٧٦- لا يزال بعض الباحثين مصرّين على الاكتفاء بشواهد تراثية للتدليل على هذه الصيغة. انظر: إبراهيم السامرائي، **الفعل: زمانه وأبنيته**، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٩. و علي جابر المنصوري، **الدلالة الزمنية في الجملة العربية**، ط ١، مطبعة الجامعة بغداد، ١٩٨٤م، ص ٥٧.

٧٧- انظر: عصام نور الدين، **الفعل والزمن**، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٦٧. وانظر: إبراهيم السامرائي، المرجع السابق، ص ٢٩، وانظر: علي جابر المنصوري، المرجع السابق، ص ٥٧ و ٦١ و ٦٤.

٧٨- سورة القمر، الآية: ١٣-١٤.

٧٩- حامد عبد القادر، المرجع السابق، ص ٦٩.

٨٠- يطلق بعض الباحثين عليه "المركب الفعلي أو الزمني" انظر: مالك يوسف المطلبي، المرجع السابق، ص ١٥٦، ولكني أميل إلى تسميته بـ "الفعل المركب". وأعترف أن المسألة تحتاج إلى مزيد بحث.

٨١- انظر: فندريس، **اللغة**: ترجمة: عبد الرحمن الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م، ص ١٠٧.

٨٢- المقصود أن العربية أخذت في مرحلة من الزمن لاحقة لا تستحب النمط التركيبي الذي تتوالى فيه صيغتان فعليتان تنتميان إلى حقل زمني واحد، مثل: (فَعَلَ +فَعَلَ) أو (يَفْعَلُ + يَفْعَلُ).

٨٣- الرازي، **التفسير الكبير**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣١/٥، وانظر: محمد حماسة عبد اللطيف، **بناء الجملة العربية**: ط ١، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٣١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٢٩.

٨٤- ابن يعيش، **شرح المفصل**، ١١٦/٣.

٨٥- انظر لمزيد من التفصيل: السيوطي، المرجع السابق، ٣٦٠/١-٣٦١.

٨٦- لا يَفْهَمُ أحد من رأيي هذا القائل بتطور هذه التراكيب أنها لا تتداخل في الاستعمال اللغوي ولا تتزامن، بل ـ على العكس ـ كثيراً ما يتطور من صورة إلى صورة، وتبقى الصورتان مستخدمتين معاً في مرحلة لغوية واحدة. أي أن تطور التركيب لا يعني بحال أن تلغي الصورةُ الأحدث الصورة الأقدم.

٨٧- فندريس، المرجع السابق، ص ١٠٧.

٨٨- جعل "المطلبي" سمة "التجدد الفعلي" دلالة الفعل بعامة. وهي دلالة استقاها ـ فيما يقول ـ من "الخطيب القزويني" و "الزملكاني". انظر: المطّلبي، المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤.

٨٩- انظر: المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

٩٠- علي جابر المنصوري، المرجع السابق، ص ٦٣.

٩١- السابق نفسه.

٩٢- انظر: المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨.

٩٣- انظر السابق، ص ٢٥١.

٩٤- انظر السابق، ص ٢٥٣.

٩٥- حامد عبد القادر، المرجع السابق، ص ٦٥.

٩٦- يُطلق "المطلبي" على وجه الماضي هذا بالزمن المشترك. انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٤، **والجدول**، ص ٣٠٩.

٩٧- قد يقوم الناطق أحيانا في هذا الموطن، وفي غيره من المواطن اللغوية، بتحويل (بـــ) إلى (في). ورد في "**لسان العرب**": "شرعت في هذا الأمر شروعا، أي خضت" [**لسان العرب**، مادة (شرع)]. وقد قال الرضي: "وكان أصل استعمالها أن يقال: (طفق زيد في العقل) و (أخذ في الفعل)" **شرح الكافية في النحو**: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٣٠٥/٢.

٩٨- انظر: المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

٩٩- انظر السابق نفسه.

١٠٠- ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٣٣٧/١. وانظر: المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

١٠١- البخاري، **صحيح البخاري**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمود النواوي ومحمد أبو الفضل ومحمد خفاجي، مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ١٣٧٦هـ، كتاب الوكالة، باب "إذا وكل رجل أن يعطي شيئا..": ٨٨/٣.

١٠٢- السابق، كتاب الجنائز، باب "ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر": ٨٩/٢.

١٠٣- المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٨٦.

١٠٤- انظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، ١٢٦/٧، وانظر: السيوطي، المرجع السابق، ٤١٠/١.

١٠٥- سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

١٠٦- سورة طه، الآية: ١٢١.

١٠٧- نقلت هذا المصطلح عن "تمام حسان"، انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

١٠٨- هذا المصطلح لأحمد عبد الستار الجواري، انظر: **نحو التيسير: دراسة ونقد منهجي**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٣٢، وقد أطلق عليه "المطلبي" **مستقبل الماضي**، انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

١٠٩- ابن جنّي، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ٣٣٥/٣.

١١٠- مالك يوسف المطلبي، المرجع السابق، ص ٢٤١.

* * * *